أحمد مسعد

للكتابة والتأليف يقدم :

توك توك من الجحيم

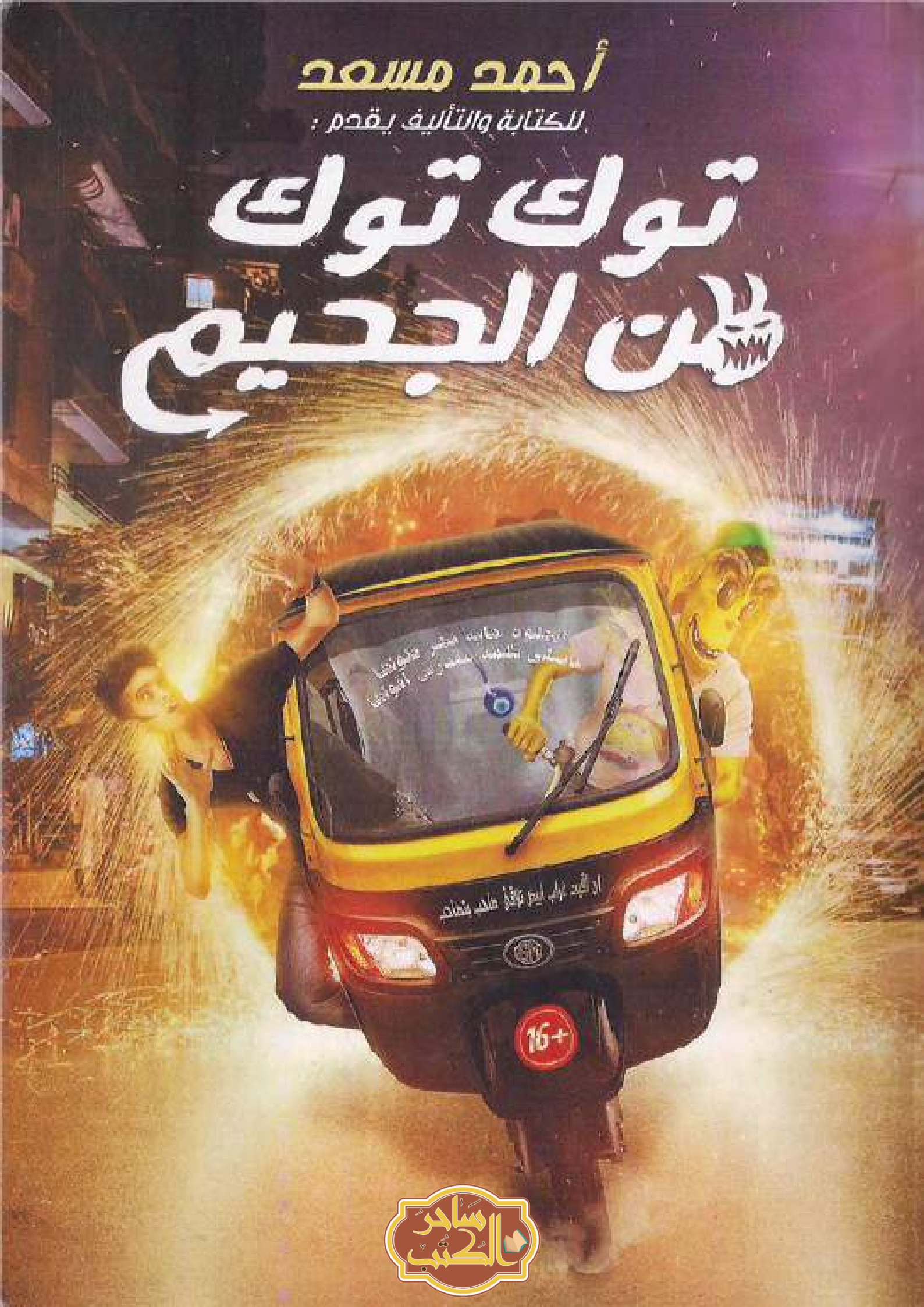

ساحر الكتب

لتحويلك إلى الجروب أضغط هنا

لتحويلك إلى الموقع أضغط هنا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب

او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

تُوك تُوك من الجحيم

رواية

أحمد مسعد

إبداع

تحذير

إذا جئت تبحث عن كتاب أدبي.. فاهرب حالًا؛ فهذا الكتاب ليس لك

إذا كنت تخاف التجارب الجديدة.. فاهرب حالًا؛ فهذا الكتاب ليس لك

إذا كُنت تبحث عن أدب نظيف.. فاهرب حالًا؛ فهذا الكتاب ليس لك

إذا كُنت من محبي كتاباتي.. فاهرب حالًا؛ فهذا الكتاب مختلف عن كل ما أعجبك قبلًا.

إذا كنت تعاني من أمراض القلب.. فأتركه حالًا هذا الكتاب؛ فقد يُصيبك بنوبة قلبية من فرط الضحك أو ربما السماجة

أما إذا كنت تبحث عما يشغل وقتك، وتبحث عن بعض المرح والاستمتاع..

فالكتاب ده دماغك ياباشا..

وإن شاء الله هتنبسط معانا.

إهـــــداء

إلى الحُلم الذي راودني في ليلة من شتاء عام 2015

توكتوك مسرع.. سور قضيب المترو.. اصطدام موشك.. فُتحة من العدم تظهر.. نار تخرج منها فتبتلع التوكتوك.. تُغلق الفُتحة..

ثم أستيقظ من النوم..

مُقدمة وكدهون

أنا الكاتب فلان الفلاني ولا تحتاج في الوقت الحالي إلى أن تعرف عن ماهيتي أكثر من ذلك، لدي في رصيدي ثلاث روايـات منشورة في أدب الرعب والفانتازيا.

مَن يتابع منكم هذا النوع من الكتابات يعرف جيدًا أن كل ما يمكن أن يُكتب قد كُتب، وأنه ما من أفكار جديدة يمكن تقديمها، بعد نجاح روايتي الأخيرة قررت أن أبحث عن فكرة جديدة لم يتطرق لها غيري قبلًا، بحثت لأشهر داخل تلافيف مُخي إلى أن قادني بحثي المحموم في النهاية إلى (أم شريف) هي سيدة مصرية أصيلة من الطراز الذي ستجده في أي بيت مصري أصيل، يمكنها أن تكون والدتك أو خالتك أو عمتك أو زوجتك مستقبلًا إن شاء الله ، ربة منزل تضحي براحتها في كل يوم لخدمة أسرتها وتنتج كميات مهولة من محشي ورق العنب والكرنب، بالتأكيد أنت تقطب حاجبك الآن متعجبًا، كيف يمكن أن يرتبط اسم كـ(أم شريف) بالرعب؟!

سألت أنا أيضًا نفس السؤال قبلك، لكني وبعد أن استمعت لها اكتشفت أنني أجلس أمام كنز، أمام صاحبة أغرب حكاية يمكن أن تكون قد سمعتها يومًا.

سأحكي لك الآن حكاياتها منقولة عن لسانها وبلغتها دون أي تعديلات أدبية، فحكاية كهذه سوف تفقد ما لها من رونق إذا حاولت أن أكتبها بلغة غير لغة صاحبتها، سنضطر في كثير من الأحيان إلى أن نُنحي لغتنا العربية الجميلة جانبًا، لنستبدلها بلغة (الهجايص) كما سماها الراحل أحمد زكي في مسرحية العيال كبرت.

قد تحب هذا العمل بشدة أو تمقته بشدة، لكني أُأكد لك أنك على أعتاب حكاية لم تقرأ مثلها قبلًا ولم تقرأها مثلها أبدًا.

(0)

في منزل (أم شريف) كانت لنا حكايات

كان يا مكان يا سعد يا إكرام، ما يحلى الكلام إلا بذكر النبي عليه الصلاة والسلام.

كانت تلك هي الكلمات التي تُفضل (أم شريف) أن تبدأ بها أي حكاية، هي إمرآة في الخمسينات من عمرها كما أحسب أنك خمنت، مترهلة الخصر والأرداف كأي امرأة مصرية محترمة، ترتدي جلبابًا يزدان بالعديد من الرسومات الغير مفهومة والملونة بألوان لا تتصل ببعضها البعض، تربط رأسها بإيشارب من القطن لكن يمكن بسهولة أن تميز بعض شعرات رأسها الرمادية، واسعة العينين، مكتنزة الخدين، واسعة الثغر، ملامحها تدل على أنها كانت ملكة جمال قبل عشرين عامًا على الأكثر، اعتدت أن أذهب إليها كلما جاءت الفرصة، أجلس فوق الحصيرة على الأرض أستمع إلى حكاياتها العجيبة بينما تجلس هي فوق الكنبة العتيقة والشال الأسود يحتضن جسدها.

فجأة وبينما أكتب تلك الكلمات قاطعتني:

-بطل يا حبيبي تتكلم الكلام الغريب بتاع المثقفين ده وانزل لمستوايا الله لا يسيئك.

قلت لها:

-والله مش عارف أبطل يا (أم شريف) مهو بصراحة اللي إنتي بتطلبيه مني ده صعب أوي، إزاي عايزاني يعني أتخلى عن لغتنا العربية الجميلة، ده أنا حتى كنت بتريق على اللي بيكتبوا بالعامية، أروح أنا أعمل زيهم!

قالت (أم شريف):

-ومالها العامية يابني، مهي شالتنا بقالها قرون أهو ولا اشتكتشي، اللي يسمعك يقول إني قلتلك اكتبها فرانكو لاسمح الله.

قلت مُوضحًا:

-مش القصد، بس الوصف والبلاغة والحاجات الجميلة دي كلها مش هتبقى موجودة، وبعدين كده مش هبقى قدمت حاجة للأدب.

(زغرت) لي قائلة:

-بقولك إيه، أنت بطل شغل قالت لي وقلت لها بتاع فَجر الإسلام ده علشان متفصلنيش، وبعدين أدب أيه اللي أنت جاي تقول عليه، هو زمانكوا ده بقى فيه أدب، ده أنا بسمع عن أسامي كتب اليومين دول عجب؛ إشي ولاد مش عارف إيه، وملبن مش عارف فين وحاجات غريبة.

أعرف تلك النغمة، إنها على وشك أن تتكلم عن أيام زمان وناس زمان، هذه نغمة صرت أحفظها، فلقد رددها على مسامعي العشرات والعشرات من الكبار والمسنين من قبل و..

-أنت لسه بتتكلم بالفصيح يا واد، يا واد اعدل لسانك خليني أعرف أحكي.

قلت لها: إحم لا مؤخذة، حاضر يا حاجة، هكتب اللي إنتي عيزاه، الموضوع مش بإيدي والله، أنا كل لما افتكر إن الكتاب ده هيتطبع بلاقي نفسي بكتب فصحى تلقائي، طب بصي أنا عندي فكرة حلوة، إحنا نقسم البلد نصين، هنعمل سرد فصحى بتتخلله بعض العامية أحيانًا، وحوار عامي، أيه رأيك؟

-بقولك إيه يا ولا أنا مش فاهمة حاجة من اللي أنت بتقوله ده، اعمل اللي أنت عايزه(زفرت في حنق ثم استطرد): أنت قليت مزاجي، قوم اعملنا كوبايتين شاي وتعالي أحكيلك.

إنها تتعامل معي وكأنها كانت تغير لي وتُرضعني صغيرًا لكنها في عمر والدتي وهذا يجعلني مضطرًا إلى احترامها وتحمل فظاظتها، سألتها:

-سكرك كام معلقة علشان أنا بشربه من غير سكر.

قالت:

-اللي ربنا يقدرك عليه أنا موافقة.

عشوائية مبالغ فيها، لم أعقب بل شرعت في عمل الشاي على «السبرتاية» الصغيرة الموضوعة في أحد أركان الصالة، بعد أن انتهيت من تحضيره ناولتها كوبها واحتضنت أنا كوبي بين كفيّ وجلست على الأرض أستمع لها، وأخيرًا قررت أن تحكي.

*****

(1)
يوم زئرت التكاتك

العالم ده قريب أوي مننا يمكن أقرب من ما تتخيل، كلام مكررمش كده؟ بس حقيقي وده اللي بيخليه يفضل مرعب مهما تكرر.

أي حكاية في الدنيا بتبدأ من عند نقطة انفجار للأحداث، بس حكايتنا دي بدأت بانفجار فعلًا، زي البج بانج كده[1].

من 12 سنة انفجرت شقة أخويا بيه هو ومراته، ومفضلش عايش غير ابن أخويا (عبد التواب)، اللي كان بالصدفة بيشتري حاجة من تحت البيت وقت الانفجار، الواد عاش بستر ربنا ومكنش ليه حد في الدنيا غيري، قعدت ساعتين بزن وأتحايل على (أبو شريف) الله يرحمه علشان يرضى يخلي عبد التواب عندنا أربيه مع ابننا شريف، بس هو كان مزرجن ومكنش راضي، وخصوصًا بعد ما عرف مُلابسات الموضوع، واتضحلنا إن (عبد التواب) اللي كان عنده عشر سنين وقتها هو اللي ساب غاز الشقة مفتوح ونزل يشتري مصاصة.

بس في النهاية (عبده) كان عيل صغير ومفيش لوم عليه، وملهوش حد غيري، شوية دلع وحنية لحد ما جبت قرار (أبو شريف) وخليته يوافق[2].

وخلال نفس السنتين جوزي جاتله المرارة مرتين متفهمش إزاي ياخويا، وجاتله جلطة في المخ وخف منها وبعدها اتشل قبل ما يتكل على الله من عشر سنين ويموت.

وهو على فراش الموت بص على الواد (عبد التواب) وقال جملة واحدة

(١) ودي عرفت البج بانج منين دي؟!.. أبيدو أنها أذكى من ما تُبدي (الكاتب)

(٢) ياريت كل البنات تتعلم من أم شريف ويفهموا إنها مش بالقفش (الكاتب)

بالعافية يا عيني قال:

-حسبي الله ونعم الوكيل.. حسبي الله ونعم الوكيل.

ومات بعدها مش عارفة هو ليه كان قاسي ع الواد كده، إكمن الواد كان شقي شوية يعني يدعي عليه؟! عالعموم أهو خد الشر وراح.

سنة 2012 بعد الثورة ابني شريف اتخرج من تجارة عين شمس، وكله أمل في مستقبل كويس، لكنه ياحبة عين أمه بعد سنتين اتصدم بالواقع وقرر إنه يهاجر، كنت عارفة إنه مش هيهاجر شرعي وإنه هربان في مركب بس مقدرتش أمنعه، من ساعتها معرفش عنه حاجة، معرفش هو عايش ولا ميت، مبقاش فاضلي دلوقتي غير عبد التواب، اللي بقى ونسي الوحيد في الدنيا.

لكن الانفجار الأهم اللي خلا الحكاية تدخل لسكة تانية كان من يجي سنتين كده أو أقل شوية.

*****

بداية من تلك النقطة سأبدًا في التدخل في طريقة سرد (أم شريف) لتقويمها.

*****

في أحد الأيام دخل عليا (الواد) «عبده» وحالته كرب ياعين خالته، وعلامات الضيق واضحة على وجهه فسألته:

-مالك يا ولا؟

فرد دون أن يرفع عينه في عيني:

- مفيش حاجة ياما مخنوق شوية(اعتاد بالطبع أن يناديني «أما» لأنه يعتبرني في مقام والدته رحمها الله وأجحمها أينما كانت فلن أطيقها أوأبتلعها يومًا)

حاولت استدراجه قائلة:

-طب مالك يا حبيبي، فضفض معايا، قولي إيه اللي مزعلك بقالك يومين كده حالك مش عجبني.

فانفجر يحكي فجأة:

-المعلم مكاوي المجوكي طردني من الشغل من يومين، وأنا مكنتش راضي أقولك لحد ما ألاقي شغل، بس كل الأبـواب متقفلة، محدش راضي يشغلني معاه، بيقولوا عليا نحس ياما، وإني كل لما أشتغل في مكان أخرب بيت صاحبه.

-أنتَ! ده أنت، ياخبر، ده أنت ياما شيلت أماكن لوحدك، علشان يعني كام حادثة يطلعوا عليك السمعة دي، هو يعني كان ذنبك لما مخزن المعلم «ألبير» اتسرق، ولا لما عربية الزبونة انفجرت في ورشة الأسطى «بيومي»، ده كله قضاء وقدر، هو تلاقيه عم «إيهاب» الكهربائي اللي طلع عليك السمعة الزفت دي، أصل من ساعة ما البيت اللي كنتوا شغالين فيه ما حصل فيه ماس كهربائي وولع وهو داير يقول إنك السبب. بس قولي يا واد صحيح، الزفت مكاوي ده طردك ليه؟

قال لي وهو ياحبة عيني يبدو القهر في عينيه:

-أبدًا، ست كبيرة معدية قدام المغسلة وقعت بالحاجة بتاعتها ع الأرض، شفتها فسبت اللي في إيدي وجريت أقومها وشيلتلها الحاجة ووصلتها لحد بيتها، ولما رجعت لقيت المعلم مكاوي واقفلي على أول الشارع والدخان طالع من ودنه وقالي إني غبي علشان سبت المكوة فوق فستان الزبونة فاتحرق، وإن الفستان معدي الخمس تلاف جنية، فطردني وقالي ملكش عندي فلوس.

قلت مواسية: مهي طيبة قلبك دي اللي موديالك في داهية، بس محلولة يا واد، أنت تسيبك من العالم العرة دي وتشتغل لحسابك.

فقال: إزاي ياحاجة وأنا محتكمش على جنية ومفيش في دماغي أي أفكار.

-عيب يا ولا لما تبقى مطراوي من عزبة التوكتوك ومش عارف هتشتغل إيه،

أنت هتقدم على توكتوك وتشتغل عليه، ومن مكسبك ادفع قسطه كل شهر، وكده كده دهبي موجود لو حصل حاجة هبيعه مش هغلب يابني.

هرش رأسه مفكرًا وهو يقول: هي فكرة حلوة ياحاجة بس في فيها خرم ولامؤخذة.

سألته: وإيه الخرم ده إن شاء الله؟

قال: مُقدم التوكتوك هجيبه منين؟

-سهلة ماأنت صحابك الأندال كتير وياما خدمتهم، مش كان ليك واد صاحبك من إعدادي شغال جزار ومِترَيِش اسمه إخس باين، ما تشوفه.

-قصدك كريم إكس؟

-هو سكس.

-والله فكرة، نجرب شكرًا ياقمر(قام ليقبل رأسي قبل أن يجري خارج الشقة فرحًا بينما أتابعه بنظري وأطارده بكلماتي)

-قمر بالستر ياخويا، خد بالك من نفسك، ومتتأخرش ع العشاء عاملالك عجة.

خرج من الشقة ومن البيت كله غير مُدرك أنه على أعتاب مغامرة ستقلب حياته رأسًا على عقب.

*****

الساعة 8 ليلاً - عزبة المبيض – حلمية الزيتون

لم يكن عبد التواب سوى شاب أقل من العادي، شاب تقابل الألاف منه في طريقك يوميًا؛ جسد نحيل وواهن أنهكته الحياة والمكيفات، شعر مجعد مجزوز من الجانبين مع حاجبين كثين وبشرة قمحية. دخل (الواد)» عبد التواب» على «كريم» محل الجزارة بينما كان الأخير يُمسك بقطعة كبيرة من لحم «البتلو» يُحولها إلى قطع صغيرة قال عبده:

-السلام عليكم يا إكس.

رد كريم: وعليكم السلام ياسطى، أوعى تقولي إنك جاي تشتري لحمة.

عبد التواب: تعرف عني أنا كده، ده أنا الحي كله عرفني بمُفلس المطرية. (قالها وهو يضحك)

كريم: طب يا عم مُفلس إيه اللي رماك؟ شامم ريحة مصلحة في الموضوع.

عبد التواب: بصراحة كده أنا عايزك تسلفني باكو هدفعه مُقدم توكتوك. (قالها بعشم)

سكوت دام لثواني قبل أن يقطعه كريم:

-بص يا عبده، إنت نحس ومتضمنش، بس إكمننا صحاب من أيام إعدادي فأنا هساعدك ياسطى.

-قول وأمانة الله! وربنا يا إكس طول عمري أقول عليك رجولة. (قالها عبده بفرح)

كريم: بس هساعدك بطريقة تانية.(نطقها بطريقة لا تخلو من تناحة قطعت على عبد التواب فرحته)

تعجب عبد التواب من آخر كلمات كريم وحملق فيه باهتمام فبدأ (إكس) يشرح مقصده:

- يعني هساعدك تسوق توكتوك، بس من غير ما أسلفك. بُص يا عم، هي مش فزورة بقى أخويا اللي مات من سنة الله يرحمه مات في حادثة توكتوك.

عاد عبد التواب بجسده إلى الوراء مُتشائمًا:

-أنت بتقول عليا ياعم من أولها؟ (قالها عبد التواب بصوت عالي)

وضح له كريم:

- أنا مش قصدي يا عم اسمعني للآخر التوكتوك اللي أخويا عمل بيه الحادثة دي لسه موجود، محطوط وسط الخردة في قلب المخزن اللي جنب الزريبة

اللي بنربي فيها البهايم.

سأل عبد التواب: بس التوكتوك ده يعني ميبقاش ميت من الخبطة؟

سفه كريم من كلمات عبده: ولا ميت من الخبطة ولا حتي من الخضة هو بس عايز شوية عمرة وهيبقى زي... (قطع كلامه عبد التواب)

- استنى استنى بمناسبة الخضة أنت قصدك الزريبة اللي الناس بتسمع فيها أصوات عفاريت، وأصوات زي ما يكون اللهم ما احفظنا حد بيحشش فيها بليل.

سخر كريم من كلام عبده:

-أيوة، أصل إحنا العفاريت بتاعتنا دماغها متكلفة مش أي كلام، إيه يابني الهبد ده!

عبد التواب: يابني مش إنت بعضمة لسانك قبل كده قايلي إن الزريبة دي غريبة، وإن البهايم فيها بتموت من غير سبب زي ما يكون حد خضها.

ضحك كريم بصوت عالي ثم قال:

-بهايم إيه اللي بتحشش وعفاريت إيه اللي بتموت من الخضة أكيد كنت بشتغلك ركز معايا بس وبلاش هبل، إنت هتشتغل على التوكتوك والمكسب اللي يطلعلك النص بالنص لحد ما تسدد تمنه أمين؟

تردد عبد التواب قليلًا قبل أن يُؤكد على موافقته بقوله: أمين.

*****

الساعة 9 ليلًا-الزريبة- المطرية

بعد أن اتفق عبد التواب وكريم، ذهب الاثنان معًا إلى الزَريبة، أتوقع بحكمة السنين عندي ما هي نوعية الأفكار القذرة التي قفزت إلى أذهانكم حين جئت على ذكر ذهابهم معًا إلى الزريبة، لكني لن أتوقف عند تلك الأفكار.

وقف الاثنان أمام المخزن، قبل أن يُخرج كريم المفتاح من جيبه ليفتح قفل الباب المعدني ثم ساعده عبد التواب في رفع باب المخزن، كان مظلمًا من الداخل، لكن بعض الضوء تسرب إلى الداخل فسمح له برؤية بعض التفاصيل، كان التوكتوك في منتصف المخزن وحوله تتناثر أدوات التصليح.

كان كريم واقفًا أما المخزن المفتوح يحدق في اللاشيء، استمر على وضعه هذا لمدة 30 ثانية فأسرع عبد التواب وسأله: في حاجة يا كريم؟

رد كريم وصوته فيه رعشة بسيطة:

-لا ياسطى مفيش.

خطا كريم بهدوء داخل المخزن وبدأ يبحث عن مفتاح الكهرباء حتى وجدها وضغط عليه، انتشر الضوء في المخزن بالكامل وبدت تفاصيله بشكل كامل. التوكتوك حالته كانت بَلاء ما بعده بلاء، العجلة الأمامية مُدمرة، وزجاجه مُحطم، بالإضافة إلى ذلك فإن المصباح الأمامي أو الفانوس لم يعد موجودًا تقريبًا، جلد السقف مُقطع لكنه على الأقل لا زال موجودًا.

دخل عبد التواب إلى المخزن بينما كريم يقول:

-بُص يافنان التوكتوك أهوه، والعدة أهيه أنا عارف إنك كنت شغال ميكانيكي قبل كده فهسيبلك موضوع تصليح التوكتوك ده، واعتبر تصليحه ده المقدم وأنا يا عم هجيبلك إلي أنت عايزه ونتحاسب بعدين.

تأثر عبد التواب كثيرًا ودمعت وقال:

-ياسطى أنت جدع أوي، أنا بحبك فشخ ياسطى.

-عيب عليك يابو الصحاب.

تحمس عبد التواب وقال:

-ولا ولا ولا ولا.

فرد كريم بنفس الحماس:

-الصحاب يلا.

-جدعان يلا.

-ولا.. ولا.. ولا.

وبدأ الاثنان يرقصان في المخزن.

*****

في اليوم التالي من اتفاق عبد التواب وكريم، حضر عبد التواب في تمام الساعة التاسعة صباحًا وبدأ في تصليح التوكتوك، وأصبحت عادةً مُنتظمة لدى (الموكوس) أن يتركني ويذهب إلى هذا المخزن منذ الساعة التاسعة صباحًا لتصليح التوكتوك، وفي بعض الأحيان كان كريم يساعده، وينتهى العمل المستمر في حوالي الساعة الثالثة عصرًا فيعود كل واحد إلى منزله، فيأتي لي عبده حبة عين عمته مُنهك وجائع.

استمر العمل في تصليح التوكتوك أسبوعًا، خلال هذا الأسبوع بدأ يلاحظ اختفاء أشياء وتحرك أشياء من مكانها، وقد تطور الأمر ليجد عبد التواب ذات مرة سيجارة حشيش سليمة ملقاة فوق كرسي السائق بالتوكتوك! فظن عبد التواب أن كريم يأتي إلى المخزن ليلًا هو وأصحابه (ليخربوها). حتى هذه اللحظة كان كل ما يحدث قابل للتفسير، لكن الأمور بدأت تصبح مرعبة بحق في اليوم السادس، في ذلك اليوم كان يجلس بداخل التوكتوك يُصلح بعض مشاكله الكهربائية التي يفهمها جيدًا بحكم عمله لفترة ككهربائي، فحصل له أغرب شيء قد يحصل لإنسان، سمع صوت صرخة آتيه من الخلف، فنظر بفزع ناحية مصدر الصوت فلم يجد شيئًا! لكنه أحس بصفعة حكومية (مطرقعة) على قفاه!

دار عبد التواب حول نفسه برعب، لكن ككل قصص الرعب وكما توقعت أنت لم يجد شيئًا. كل قصص الرعب متشابهة، دائمًا يختفي الشبح بمجرد أن تنظر نحوه قبل أن يظهر خلفك من العدم ، هذا مكرر ومتوقع إلى الحد

الذي يجعلني أعتقد أنني سأصاب بالهلع وينخلع قلبي إذا وجدت شبح ما لا يقوم بتلك الحركات الصبيانية في أي قصة أو فيلم رعب، ستكون تلك مفاجأة مرعبة بالفعل. مُنذ تلك الحادثة أصبح عبد التواب (مروش) ومشتت، ينظر خلفه وفي كل الاتجاهات بينما يعمل على إصلاح التوكتوك، فهو يتوقع أن تزور الصفعة التالية قفاه في أية لحظة. في آخر أيام العمل على تصليح التوكتوك قرر عبد التواب أن يُطيل فترة العمل قليلًا، وألا يرجع إلى البيت في الساعة الثالثة كما اعتاد، فلقد وجد أن ما تبقى من عمل لا يستحق أن يُضيع فيه يومًا.

اتصل بي كي يُعلمني بتأخره في العودة الليلة وباحتمالية مبيته، ثم تابع العمل إلى أن أذن العشاء، كان صغيري حينها قد أرهق بالكامل؛ لذلك اتخذ قراره بأن ينام على الأرض قليلًا، ثم يستأنف العمل حين يصحو. لكن حينما كان نائمًا أحس بشيء غريب، أتعرف ذلك الشعور؟ حين ترتعش من البرد أثناء نومك، هواء بارد يحيط بك، بالتحديد عند أفخاذك، شعور أن تتحسس أصابع باردة قدمك، قبل أن تجردك من البنطال! قبل أن ينسحب البنطال بالكامل من عبد التواب فُزع من نومه ليجد بنطاله وقد سُحب منه، استغرق الأمر لحظات قبل أن يستوعب ما حدث له فهمّ يرفع البنطال بسرعة، للحظة فكر في أن ذلك المكان مسكون، به عفريت ما أو تسكنه جنية تعشقه. نفض تلك الفكرة عن عقله ثم نظر إلى ساعة هاتفه فوجدها العاشرة مساءً، تعجب كيف مر الوقت بسرعة دون أن يشعر ثم أسرع يحاول إنهاء عمله في تصليح التوكتوك، تمم على كل جزء في التوكتوك وقبل أن يقوم بعمل Check Up للماتور دون أن يتحرك به خارج المخزن.

جلس بداخل التوكتوك قبل أن يُخرج مفاتيحه ليدُسها فيه ويحرك يده بشكل دائري فيدور المحرك، بمجرد أن دار المُحرك خرج منه صوت مُزعج ثم بدأ الدخان يخرج من كل منفذ ممكن بجسد التوكتوك، فأصبح عبد التواب معميًا عن كل شيء، دار بنظره يمينًا ويسارًا وهو يسعل بقوة حتى اصطدم وسط الدخان بعينين حمراوين تنظران إليه، عينان لشخص يجلس خلفه

داخل التوكتوك! صرخ عبده من شدة الفزع والرعب وخرج جريًا من داخل التوكتوك قبل أن يتعثر وسط الضباب بمفتاح إنجليزي ملقى على الأرض، فانكب على وجهه قبل أن يلتف بسرعة لينظر في اتجاه العينين الحمراوين اللتين تقتربان منه، وصوت ضحكات صاحب العينين يتردد في أذنه، صوت لا يمت لأصوات البشر بصلة، كان فزعًا أكثر من فراشة عالقة في خيوط عنكبوت، حتى أن صوت نبضات قلبه المذعور أصبح واضحًا:

-أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث. ابعد عني.

بدأ الضباب ينقشع لتظهر معالم المخزن وما فيه، ومعهم ملامح العفريت الواقف أمام عبد التواب، أجل عفريت لا توجد كلمة أخرى تفسر لونه الأصفر وأذنه الطويلة وعيناه الضيقتان المشقوقتان بالطول، هذا بالإضافة إلى الكاب الذي يعلو رأسه وساعة يده الفضية، وجاكت الجلد الطبيعي الذي يساوي ما لا يقل عن 750 جنية في وكالة البلح، ولا يقدر على ثمنه سوى الحرامية والعفاريت. كان ينظر إلى عبد التواب وابتسامة بلهاء تعلو وجهه، بينما عبده في قمة هلعه، فجأة غرز هذا العفريت الأصفر أصابع يده في عينيه الحمراوين ونزع منهما ما يُشبه العدسة، فظهرت عيون سوداء تُشبه أعين الكلاب بدلًا من العيون الحمراء، مشهد مخيف ومقرف في ذات الوقت. مدّ ذلك العفريت أو الشيء يده اليسرى نحو عبد التواب المُلقى على الأرض وبدأ يتكلم بصوت سخيف وغير متوقع:

-هولايولا.. إيه رأيك في الداخلة يا شقيق كانت حلوة؟ صح؟ ده أنا بحضرلها بقالي أسبوع وجايبلك العدسات الحمراء دي مخصوص علشان أخضك، معاك مهيطل.. مهيطل شلوفة النتن الجني اللي ساكن في التوكتوك ده.

نظر له عبد التواب فاغر الفم للحظات قبل أن يتسطح جسده على الأرض فاقدًا للوعي.

(2)
التوكتوك السحري

-استني بس كده يا حاجة، أنا حاسس إني شفت الفيلم ده قبل كده الموضوع ده اتحكى ألف مرة؛ من أيام فيلم سر طاقية الإخفاء وعفريتة هانم لحد فيلم طيرأنت وفيلم الأنميشن بتاع علاء الدين.

قالت لي بينما ترفع حاجب وتُنزل الآخر:

- إيه إنْ ريليشن اللي إنت بتقول عليه ده؟

رددت:

- إنْ رِيليشَن إيه يا حاجة ده حاجة تانية، أنا أقصد الفيلم الكرتون بتاع علاء الدين ولا خلاص أكيد متعرفهوش.

-اااه عارفاه.. مش ده اللي الواد الأسمراني ويل سمسم عمل منه نسخة جديدة ببني آدمين حقيقيين، ده كان فاجر الفيلم ده يا ولا، البت ياسمينا دي قمر.. قمر.

-فاجر! سمسم.. يعني إنتي عارفة ويل سميث ومش عارفة يعني إيه أنميشن! ع العموم كملي ياستي الوقت لسه بدري لما نشوف أخرتها مع عم عبده بتاعك ده.

عادت بظهرها إلى الخلف بينما هي متربعة فوق كنبتها العتيقة وقالت:

- هو إنت لسه سمعت حاجة الحدوتة لسه في أولها، اعملي فنجان قهوة بس وأنت قاعد بتسمع.

-حاضر.

قلتها ضاغطًا على أسناني فبدأت هي تُكمل حكايتها.

*****

-اصحى.. اصحى الله يخرب بيتك، إيه يا ربي البني آدمين دي هو كل لما أطلع لبني آدم يموت من الخضة كده! هو شكلي مرعب للدرجة دي؟! أمال بقية الجن بيستهيفوني ليه؟ قوم ياسطى متشيلناش ذنبك.

((مين صاحب الصوت ده؟))

هذا هو السؤال الذي دار في عقل عبد التواب وقتها صاحب صوت (الندب) هذا صوت يشبه لطم الخدين! كان يسمع كل هذا بوضوح لكن لا يرى، واع لكن عاجز عن الحركة، أحس عبد التواب بأنامل رفيعة ترتكز فوق صدره منّ جهة اليسار، فوق القلب تحديدًا، والصوت يقول:

- الحمد لله.. ده لسه عايش.. ياعم قوم ياعم كفاية رعب بقى.

بدأ عبده يفتح عينه ببطء فاصطدم بوجه صاحب الصوت (النداب) ينظر له من أعلى! وجه أصفر، أذان طويلة قريبة في الشكل من أذان بندق وبلوتو كلب ميكي، عيون عادية كأعين البشر، لكنها سوداء تمامًا تخلو من البياض المحيط بالبؤبؤ، يرتدي صاحب هذا الوجه جاكت أسود من الجلد الطبيعي يبدو باهظ الثمن، وساعة فضية أصلية المعدن.

فُزع عبد التواب وانتفض عن الأرض بسرعة، ثم أسرع يتحرك بطراطيف مؤخرته إلى الخلف والرعب يتلبس خلاياه:

- إنت إيه ياعم أنت؟ أنت بني آدم زينا ولا سلعوة ولا مرض اللي في وشك ده ولا إيه؟!

لم يرد الشيء الأصفر، بل راح ينظر إلى عبد التواب بدون أن يُبدي أي تعبيرات مُستخفًا ردة فعله المبالغ فيها من وجهة نظره.

تابع عبده صراخه الهستيري:

- طب إنت حرامي؟ حرامي صح؟ مهو ده التفسير الوحيد للشراب اللي في وشك ده.

بقى الكائن الأصفر على حالة لا يُبدي أي رد فعل، بينما عبده مستمرًا في(الهري):

- خلاص عرفتك ده فيلم حرب النجوم الجديد مكنتش أعرف والله إنه بيتصور في مصر.

- ...

- ياعم ولا يا شيء أنت اتكلم وريحني.

- ما تبس بقى فلقتني ياأخي.

صدرت تلك الجملة عن الكائن بعد أن (جاب آخره).

سكت عبد التواب وركز نظره على الشخص الأصفر القابع أمامه غير قادر حتى على أن يطرف عينيه، بدأ الكائن الأصفر يتحرك على الأرض زاحفًا نحو عبده، حتى وصل إليه وجلس جواره متربعًا على الأرض ساندًا ظهره إلى الحائط، وتغيرت ملامح وجهه فجأة وابتسم ابتسامة ليست مخيفة بقدر ما هي غريبة، مد الشيء يده إلى عبد التواب وقال بنبرة صوته السخيفة الغير متجانسة مع ملامح وجهه المرعب:

- معاك مهيطل.. مهيطل شلوفة النتن من طبقة الجن الصُفرعندي 26 سنة وأنت؟

تجمد عبد التواب غير قادرعلى الرد أو إبداء أي رد فعل لحظات صمت، قفز عبد التواب من فوق الأرض فجأة ليُصبح عند باب المخزن في أقل من ثانية محاولًا الهرب، فقام الشيء الأصفر الذي عرفنا إنه يسمى (مهيطل) بطرقعة أصابع يده في الهواء، ليجد عبد التواب نفسه فجأة قد عاد إلى جوار صاحبنا الأصفر من جديد في لمح البصر!

اتسعت عين عبد التواب عن أخرها من أثر الصدمة فبدأ يتكلم بينما يرتعش جسده:

-أنت عايز مني إيه؟! انصرف، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

- يابني ما تقعد ثابت شوية أنا عملتلك حاجة؟ عامل فرح وهوليلة، أنا لو طلعت لإسراء دحيحة فصل ٥/٣ مكنتش عملت اللي أنت عملته ده، عامة أنا مش هأذيك.

-أنت مش جني؟

-مش باين عليّا ولا إيه!

فرد (الموكوس) ابن أخي:

- أيوة يعني جن، يعني ممكن تلبسني وتخليني أتحول وأتجنن لما أسمع قرآن، والجيران وأهل المنطقة يخدوا بالهم إني مش طبيعي فقوم عمتي تجيبلي شيخ يقرأ عليّ فأتشنج وأقعد أتكلم بصوتك المسرسع ده و..

قطع الجني كلامه:

- باااااااس بس بس.. إيه الهري ده كله؟! إيه الخيالات المريضة دي؟ ده أنت قصص الرعب اللي في الراديو مسيطرة على أفكارك.

سأل عبد التواب:

- مش ده اللي بيحصل؟

قال مهيطل:لا يعم مفيش الكلام ده؟ مش هأذيك متخفش.

- وأمانة الله؟ أمال عايز إيه؟(سأل عبده)

ردّ مهيطل:

- يا عم بنتعرف، ده أنا بقالي كتير مشفتش بني آدم ومحبوس في المخزن ده من يجي سنتين من ساعة ما التوكتوك ده اتخرشم أخر مرة، كل فترة بيعدي عليّا واحد من صحابي نمسي ونصبح مع بعض، أنت مش متخيل الملل اللي أنا عايش فيه، أنا بقت تسليتي الوحيدة في الحياة إني أخض

البهايم اللي في الزريبة اللي بره دي يلا الحمد لله. مقلتليش صحيح ياسطى أنت اسمك إيه؟

ظل عبد التواب ينظر إلى الجني الجالس بجواره والرعب من شكله لا يزال مُسيطرًا عليه على الأخص بعد أن لاحظ أن لديه قدم أشبه في تشريحها لحوافر الحيوانات وأصابع تنتهي بأظافر كالمخالب، ينطق أخيرًا:

-هو مش إنت قايل مش شوية إنك جني؟ ما تعرفه لوحدك.

-يا فتاح يا عليم، يابني شيل شغل الدجل ده من دماغك مفيش الكلام ده، ع العموم أنا عارف اسمك، مش علشان أنا عفريت علشان بسمع كريم صاحبك بيناديك بيه لما بيجي، بس معرفش اسمك بالكامل.

نطق عبده بتردد:

اسمي... اسمي عبد التواب عبد التواب الكافر.

قال مهيطل وحكمة السنين بادية في عينيه:

- يا بني أنا جني ناضج ميفرقش معايا معتقداتك إيه خلينا نتعامل بالكوكبية، الدين اللي بيجمعنا كابنا كوكب واحد رغم اختلاف العوالم. الدين لله والكوكب للجميع. المهم بقى اسمك عبد التواب إيه؟

كان عبد التواب يستمع إلى كلام الجني فاغر الفم لا يفهم منه كلمة، إلى أن انتبه إلى السؤال الأخير، فأجاب:

-ماأنا لسه مجوبك عبد التواب الكافر.

-ده أنت اللي هتكفرني يا أخي، يا حبيبي بقولك اسمك إيه؟.

رد عبده بصوت ثابت وقوي للمرة الأولى منذ ظهر له هذا الشيء:

- أيوه أنا اسمي عبد التواب الكافر، وصحابي بيقولولي يا كافريانوا على وزن كريستيانو إكمني كنت حريف كورة وأنا صغير أو عبده عادي.

عند تلك النقطة فقد مهيطل ما تبقى له من وقار الجن ونزل بجسد كاملًا على الأرض وراح يُخبط بقدمه فيها من شدة الضحك، بقى على تلك الحال قليلًا، وعبد التواب ينظر إليه مُتعجبًا ردة فعله، إلى أن تمكن مهيطل أخيرًا من التوقف عن الضحك ثم أخذ نفسًا بينما يمسح دمعة تسربت من عينيه من شدة الضحك وقال:

- ثواني بس كده يعني أنت أبوك كان اسمه الكافر بجد والله.(ضحك في منتصف كلامه ثم استطرد في سخريته من اسم أخي الموكوس[1])يعني كان مكتوب اسمه في البطاقة الكافر وتحتيها الديانة مسلم؟!(ثم عاد يضحك بشدة إلى الدرجة التي خرج معاها لسانه الأقرب في الشكل إلى لسان الثعابين خارج فمه)

قال عبد التواب مُغتاظًا:

-ده على أساس إن أبوك اسمه معتز! ما أنت أبوك اسمه شلوفة وجدك اسمه النتن.

توقف مهيطل فجأة عن الضحك ونظر إلى عبد التواب نظرة حادة جدًا أعادت للأخير مشاعر الرعب من جديد، ثم قال:

-على فكرة مهيطل شلوفة النتن ده اسمي لوحدي اسم مركب يعني، وصحابي بينادوني يا هيطا زي هيما اختصار إبراهيم.

قال عبده بتردد ونظرات مهيطل تقلقه:

- طب أنا آسف ياباشا ولا تزعل نفسك، بس عظمة والله الاسم مينفعش يتقسم أصلًا هو لازم يتاخد كده كله مرة واحدة، مهيطل شلوفة النتن. مزيكا والله.. الله على أخلاقك يا فخر الجن.

ميز مهيطل نبرة التطبيل في صوت عبد التواب فقال:

---

(١) لا تنس أن السارد الأساسي المنقول عنه الحكاية هي أم شريف(الكاتب)

- لا أنت واضح إنك متعدد المواهب ياعبد التواب، إنت كان لازم تخش إعلام بِتفكرني بواحد صاحبي شغال في جريدة الغروب أسيادنا راضين عليه أوي لعبة معاه ما شاء الله وعنده قصر في منطقة الجحيم تلتاشر.

تجاهل عبد التواب ما يسمع من أسماء غريبة للأشياء، وأخذه الفضول ليسأل:

- طب يا كبير أنا الفضول واخدني أعرف اسم السيد الوالد.

ردّ مهيطل:

-شمهورش السيد أحمد

-أحمد!

-أحمد.

-اسمه لوحده؟

-مُركب يا جدع.

في هذا الوقت كان عبد التواب قد تناسى خوفه من مهيطل، بل بدأ يتعامل معه بشكل طبيعي وكأنما يجلس مع صديق؛ فتشجع وسأله:

- ألا قولي يا أستاذ مهيطل

-قلي يا هيطا(الجني مقاطعًا)

-ألا قولي يا هيطا، إيه اللي رماك على هنا؟ وإيه حكاية الحبس جوه التوكتوك دي؟

تنهد هيطا وقال:

والله يا فنان هو موضوع يطول شرحه بس لو عايزني أحكهولك هحكهولك معنديش مشكلة.

عبده: احكي.

مهيطل:

- يبقى خليني أرجع بيك للوقت اللي كنت شغال فيه مع منصور السحار.

*****

- كنت عايش حياة عادية في أسرة صغيرة من الجن الأصفر، وكغالبية الجن الأصفر متوسطي الحال ومستورة الحمد لله مليش في الدنيا غير أختي الصغيرة وأمي، أما أبويا فمات من خمس سنين رباني بالحلال وعلمني مسرقش ولا جن ولا بني آدم ولا ألبسه أو أخضه، كان مدرس إنجليزي وكان بيدرس لأولاد الذوات من الجن الأزرق والأحمر، اتبهدلنا حقيقي من بعده بعد ما مات؛ المعاش مكنش مكفي فاضطريت أسيب الجامعة وأدور على شغلانة نأكل منها أنا وأخواتي وأمي، وملقيتش غير شغلانات صغيرة أصلي كنت بدرس في كلية طلاسم ولغات ملعونة جامعة عين حلوان.

قاطعه عبده :عين شمس تقصد.

مهيطل :لا حلوان.

عبده: يبقى جامعة حلوان بقى مش عين حلوان.

مهيطل: لا يابني دي غير دي، إحنا جمعتنا في الصحراء في عين حلوان بعيد عن البشر، هي في الأصل المنطقة دي اسمها عين عفريت بس أنا بحاول أوصلك المعلومة دي باللغة اللي أنت تعرفها المهم نرجع لموضوعنا. ومكنش في وظيفة تقبل بيّا ولا بمهاراتي التعليمية غير السِنانة فاشتغلت سَنّان.

- معلش هقاطعك تاني هو إيه السِنانة دي، مؤنث سنان يعني ولا إيه؟(قاطع عبده كلام مهيطل فرد الأخير)

- السنانة دي حاجة أشبه بالحلاقة، يعني الجن بيجولي أسنلهم قرونهم أو أبردهالهم على حسب الاحتياج، هو المفروض بنُبرُد القرن علشان في قانون

طلع بيجرم سن القرون، لكن الشغلانة اسمها متغيرش، أكملك

في يوم أمي تعبت واحتاجت علاج غالي فمكنش قدامي ساعتها غير إني أدورعلي شغلانة أدبر منها الفلوس، علشان أجيب لأمي العلاج قبلها كان في عفاريت عارضين عليا أشتغل خادم عند دجال، بس أنا مكنتش راضي أصل شغلانة الدجالين دي مش تمام وفلوسها حرام ومليانة أذية، لكن في الوقت ده ضعفت وشياطين السوء جروني للشغل مع منصور إللي أداني خمس تلاف جِني أحمر كمقدم أعالج بيهم أمي، وكتبت بيهم وصل أمانة وكمان كتبت معاه عقد شغل وتسخيرعشرين سنة قابلة للتجديد، وبكده بقيت مجبر أشتغل معاه وإلا مش بعيد يبلغ عني العفاريت الزُرق، دول عاملين زي أمن الدولة عندكم لو قبضوا عليّا هيعملوا معايا الجولاشة. (هنا قاطعه عبد التواب)

-ياااه ده أنت واضح إنك بقالك كتير أوي مخرجتش بره، دي اتلغت جولاشة دي بقى في أصناف تانية دلوقتي.

تضايق مهيطل من مقاطعة عبد التواب المستمرة له فقال:

-ياعم متقطعنيش بس وسبني أكملك، المهم إن من ساعتها عشت حياة قاسية أوي وفاسدة أوي مع منصورالسحار؛ عملت فيها مصايب بعدد قرون الشياطين الحمر في الدنيا، واتعلمت فيها إزاي ألبس بني آدمين، ومشيت في سكة الحشيش ومية النار، قعدت سنة تقريبًا بشرب ماية نار بشكل يومي.

بدت فكرة أن يشرب أحدهم ماء النار ويبقى حيًا فكرة غريبة ارتعشت لها خلايا عبده بينما يسمع مهيطل، لكنه تذكر حقيقة أنه يقيم حوارًا مع جني كل شيء حاليًا يصير مقبولا.

كان مهيطل مُستمرًا في الحكي دون توقف:

- المهم يا عم إن في يوم من الأيام حصل خلاف ما بيني وما بين المعلم منصور خلاه يغضب عليّا ومن يومها وأنا محبوس جوه (تَانك) التوكتوك ده،

أنا مربوط في التوكتوك بطلسم سحري منقوش على ضهر التوكتوك ورا، الحالة الوحيدة اللي أقدر فيها أتحرك بعيد عن التوكتوك وأتحرك فيها بشوية حرية هي إني أكون رفيق لمالك التوكتوك هو المتحكم في حركتي وفي معاد دخولي وخروجي حاجة شبة حكاية جني المصباح، من سنة كده كان في واحد اشترى التوكتوك علشان يشتغل عليه أول ما ظهرتله اتخض ودخل في محل فراخجي يلا الله يرحمه.

ابتسم عبد التواب ابتسامة طفولة وقال:

- الله! يعني وكأن أنا عماد الديب وأنت الجني اللي هيحقق لي الأماني. على كده أنا ليّا كام أمنية؟ تلاتة ولا سبعة؟ ولا..

قاطعت ضحكات مهيطل كلام عبد التواب فتعجب عبد التواب وانتظر حتى برر مهيطل سبب ضحكه:

- حاسب ياعم مراجيح خيالك دي، أنا جني أصفر يعني عمليًا أنا جني طلعلك والمفروض أحقق لك أمنيات لكن فعليًا أنا صحتي متجبنيش أخش معاك خناقة.

كل الاحترام والرهبة اللتان كان يكنهما عبد التواب لمهيطل قد تبخرا فجأة ليصدر عنه لفظ اعتراضي لا يصح أن أقوله لأني سيدة محترمة وهو (عيل قذر متراباش) ثم تابع الكلام بعده:

-لأ ده أنا أروح بيك في داهية، أنت عايز تاكل عليا التلت أماني. هتحقق لي الأمنيات ولا أقرأ عليك قرآن أحرقك؟

- ما تقرأ يا سيدي أهو حتى الملايكة تخش المكان النجس ده.

فكر عبد التواب حينها في أن يقوم ليضربه بالشبشب، لكنه جمح غضبه وقال:

- طب أنا دلوقتي آمنت إن اللي أنا فيه ده هلاوس أو أنا لسه نايم، فهجاربك

لحد ما الحلم ده يخلص، قولي بقى يا هيطا إيه الحاجة اللي خلت السحار ده يعمل فيك كده ؟

سرح مهيطل بعينيه ونظر لسقف المخزن وهو يقول:

- بص أنا مينفعش أحكيلك حاجة عن الموضوع ده وعندي أسبابي الخاصة.

سكت للحظات قبل أن يتابع:

- بس ممكن أحكيلك حكاية تانية تخصني أنا والسحار برضو، تحمس عبد التواب قليلًا للفكرة نظر للساعة فوجدها تشير إلى الثانية عشر ليلًا، المخزن مظلم ولا يشتت ظلامه سوى لمبة الجاز، أجواء مناسبة لقصة مرعبة.

-احكي يمكن الحلم ده يخلص أهو نبقى طلعنا منك بحاجة.

أخذ صاحبنا الأصفر نفسًا عميقًا وبدأ يحكي.

(3)

مهمة في بيت مسكون

يرويه :مهيطل شلوفة النتن

بدأت الحكاية في يوم من أيام ربنا السماء صافية والشمس طالعة والحمير بتنهق عالم سعيد مشرق وجميل، قاعد أنا و(عِفرت) الغبي زميلي في الشغل وجني أصفر زيي على قهوة المعلم (شمهورش) كالعادة مبنعملش حاجة، (منصور) كان عنده خُدام كتير من الجن الأزرق والأحمر بيعملوله أي حاجة هو عايزها، متعرفش ليه كان مسخرنا أصلا زيادة عدد، أو علشان يغيظ صحابه السحرة إنه مسخر جن من كل الألوان، نرجع للقهوة كنت بضرب كباية الزحلب أنا وعِفرت و..

قاطعه عبد التواب: تقصد سحلب وبعدين بتطلب سحلب ليه، أنت جن مخلوق من نار، يعني مش محتاج حاجة تدفيك!

ردّ مهيطل: عندنا اسمه زحلب، زائد إن لهجتك عنصرية ياسطى هو علشان إبليس زمان اطنطت عليكوا تروح تقولي أنت مخلوق من نار؟! عامة الزحلب عندنا بيكون ساقع إحنا مبنشربش الحاجات سخنة.

لم يرد عبده لكن مهيطل لاحظ الاشمئزاز البادي على وجهه من فكرة السحلب البارد، لكنه لم يهتم وتابع حكايته.

*****

السطور القادمة تحكيها أم شريف على لسان مهيطل وينقلها الكاتب.

حينما كنا جالسين أنا و(عفرت) على القهوة رن هاتفي النقال، أخرجته من

جيبي لأجد أن لديّ رسالة مُجسمة[1]، فتحتها فخرج الدخان من الهاتف نظرت نحو عِفرت وقلت:إلحق

-تلفونك ولع ولا أيه؟!

رددت: يا غبي ده منصور بيحضرنا هنهولا إيه؟

فرد: هولا يولا يا شقيق.

قُمنا لنُحاسب فتلة القهوجي على الثمانية عشر زحلب الذين شربناهم ثم طرنا إلى بيت منصور.

حين وصلنا إلى وكر الجن[2] شرعنا في عمل دخلتنا الخاصة، قُمنا بصنع أصوات مخيفة بحناجرنا بينما نقوم بتحريك بعض الأشياء من مكانها، القليل من البخ مع بعض العو قبل أن نطفئ الشموع التي بالمكان ليحل الظلام.

- يا شوية أغبياء، رجعوا الأنوار تاني الله يخربيتكم.

كان صاحب الصوت هو منصور المتضايق من إطفائنا للشموع ففهمت على الفور أننا تسرعنا:

- يا معلم بنعمل جو وإحنا داخلين علشان لو فيه زباين ولا حاجة.

صدرت تلك الكلمات من عِفرت فردّ منصور:

- إنت شايف في زباين؟! والله عارف إنكم هتفضحوني في الشغلانة اللي عايزكم فيها.

هنا طار قلبي من السعادة وابتسمت قائلًا:

---

(١) الرسائل المجسمة تقنية في عالم الجن متاحة للعامة، لازال البشر يعملون عليها في وقتنا الحالي #معلومات_من_الأخر_عن_العالم_الأخر مع الحاجة أم شريف

(٢) وكر الجن: المكان الذي يعيش فيه منصور السحار، ويسمى بوكر الجن لما يحتويه من جن مختلف الأشكال والأنواع #معلومات_من_الأخر_عن_العالم_الأخر مع الحاجة أم شريف

-بجد؟! بجد يامعلم هنشتغل زي باقي جن ربنا؟ أنا مش مصدقك.

قال لي:

-ولا أنا مصدقني والله بس الفكرة إن الشغلانة اللي جايبك علشانها مش مستهلة أضيع فيها مجهودات الجن الحُمر والزُرق زمايلكم، أي جني ابن عبيطة يقدر يعملها علشان كده استدعتكم.

-وإحنا خدامينك ياكبير إديني في التفاصيل.

عاد منصور بظهره إلى الخلف ليُطبق ظهره على ظهر الكنبة الخشبية، ثم قبض بيديه على رأس العصا خاصته المنحوتة على شكل رأس جَدي وقال:

-في واحد طلب مني أساعده في تطفيش الناس اللي مأجرين منه الشقة بتاعته إيجار قانون قديم لأنه عايزها في مصلحة وهما مش راضيين يخدوا خلو رجل ويمشوا، فأنا قلتله إني هبعتله عشيرة من الجن الأصفر يطفشوا الجن الأزرق ذات نفسه.

رد عِفرت في ذعر:

-إحنا خدامين يامعلم، بس بلاش الجن الزُرق، يجعل كلامنا خفيف عليهم.

-مجازًا ياغبي، مجازًا مفيش جن زُرق ولا حاجة متخفش.

(امسك) قالها منصور وهو يمد يده بورقة العنوان ناحية عِفرت الذي أسرع يمسكها قبل أن يستطرد منصور:

-عايز سكان الشقة دي يموتوا من الرعب كل ما طلعوا من الشقة أسرع الكاشات بقت أكتر.

وفرك إصبعيه السبابة والوسطى مع الإبهام بحركة ذات دلالة واحدة وواضحة وهو يبتسم كاشفًا عن سنته الذهبية المستقرة في مُنتصف فكه العلوي.

سألته مستفسرًا:

-طب والعمار؟

-شوف كبيرهم وقوله إنك من طرف المعلم منصور السحار وهما هيرحبوا بيك.

أنهى كلامه قبل أن تتغير ملامح وجهه ويقول في حزم: انصرفوا.

*****

طِرنا إلى الشارع المكتوب عنوانه في الورقة التي أخذها عِفرت من منصور، بمجرد أن وصلنا سألت عفرت عن رقم العمارة المستهدفة، فمد يده يده في جيبه ليخرج الورقة ثم راَح يُدقق في العنوان لمدة 10 ثوان قبل أن يقول:

-عمارة رقم (6) الدور الرابع شقة (7).

خلال دقائق كنا واقفين أمام باب الشقة المطلوبة كان بابها ذو لونٍ بني، وضع في أعلاه الرقم (7) مصنوع من النحاس.

سألت عِفريت:

-أدي الشقة رقم (7) بس إزاي وإحنا في الدورالتالت؟!

رد بثقة:

-أكيد حاسبين الدورالأرضي يا كبير.

-إزاي يافالح والدورالأرضي مفهوش شقق وكل دور في تلت شقق، كان الأدق إنه يكتبلنا إنها في الدور التالت.

رد دون أن تفارقه ثقته:

-غباء من الآخرين بقى ياسطى، المهم بس خلينا ندخل ونخلص.

من القدرات القليلة التي أنعم به الله علينا نحن الجن الأصفر أننا قادرون

على اختراق الجدران والأبواب، لولا ذلك ما كان ليوجد فرق بيننا وبين بني البشر سوى أننا لا نُرى، خطوت بقدمي اليمنى داخل الشقة مُخترقًا الباب وأنا أقول:

-إحم يارب يا ساتر.

وكما توقعت بمجرد أن اخترقت الباب أنا وعِفرت ظهر أمامنا واحد من عمار البيت![1]

بمجرد أن رأيته انتابتني حالة من الذعر وعدت خطوتين إلى الخلف، عمار البيت يختلفون عن باقي فصائل الجن، فهم أقرب في شكلهم إلى ظلال الآدمين، هيئتهم بشرية لكن أجسامهم سوداء تمامًا تخلو من أي تفاصيل سوى الأعين البيضاء، قد يفسر لك ذلك وللبشر من أمثالك الظلال السوداء التي ترونها تجول في الليل أحيانًا داخل الشقق وتعتقدون أنها لأحد أفراد الأسرة رغم أنهم جميعًا يغطون في النوم، هذا الظلال هي عمار البيت غالبًا.

قال بصوت أجش:

-إنتوا مين؟

حاولت أن أستعيد ثبات وقفتي ووقاري وأنا أجيبه:

- هولا يولا ياريس،[2] معلش على التطفل إحنا عندنا مصلحة في الشقة بتاعتكم هنا تبع المعلم منصور الساحر.

شعرت في البداية أنه لا يفهمني بشكل جيد، لكن حين عرف أننا جئنا لتطفيش سكان الشقة استقبلنا في ركن الضيوف بالحمام ورحب بنا بشدة،

---

(١) عمار البيت: نوع من الجن اللي بيعيش جوه بيوت البني آدمين، وغالبًا بيتواجد في الحمام وأركان الغرف المظلمة، لكنه لا يتمتع بأي قوة خارقة للعادة أو للطبيعة غير إن تكوينه المادي مختلف عن البشر

(٢) هولا يولا: يستخدم الجن لغاتهم القديمة في التحية والصيحات والطقوس الدينية.. وتعتبر تلك التحية تحية شائعة بين الشباب في عالم الجن.

#معلومات_من_الأخر_عن_العالم_الأخر مع الحاجة أم شريف

كانوا عائلة من العمار مكونة من خمس أفراد، ودار الحوار بيني وبينهم كالآتي:

قال واحد من العمار:

-إحنا هنساعدكم تطفشوهم ومن غير مقابل دول عالم معفنة وقرفونا في حياتنا.

وأضاف آخر:

- تصور يا باشا، دول مبيكلوش غير كرنب أنت متخيل حجم المعاناة إلي إحنا عايشين فيها؟

قلت لهم بتأثر واضح:

-عارف عارف أبويا الله يرحمه كان بيحب الكرنب برضو.

وسط الحوار الدائر سألني عِفرت:

-طب هو إيه الخطة دلوقتي يا كبير؟

كُنت جالسًا فوق قاعدة الحمام، فعدت بظهري إلى الخلف ووضعت قدم فوق أخرى وأنا أقول بثقة:

-هو في غيرها دلوقتي هنبدأ في الخطة رقم اتنين وتلاتة من عشرة خطة (نداء الأرواح المُعذبة).

ابتسم عِفرت:

-حلوة دي خلاص نتوكل على الله.

-ياغبي إحنا في الحمام وبلاش والنبي تستغبى أكتر وتقول أستغفر الله.

-حاضر يا معلم.

لا أعرف لماذا شعرت في ذلك الوقت أن عمار البيت ينظرون لنا نظرات (مش ولابُد) لكني لم أقف عندها فلقد كان أمامنا حرب لنبدأها، وشرعنا في

تنفيذ الخطة الأولى.

*****

خرجت أنا وعفرت من الحمام ودخلنا إلى الغرفة المقابلة له بعد أن تأكدنا أن سكان الشقة جميعهم يجلسون في الصالة، أخذت هاتف الواد عِفرت وروحت أقلب فيه بينما أسأله:

- فين يالا البلاي ليست بتاعت الضحكات الشريرة وأصوات الأشباح.

فرد:

- مش فاكر، بتهيألي مسحتها.

خرج مني لفظ اعتراضي قبل أن أقول:

- مسحت الشغل ياغبي!

رد عليّ بمنتهى السذاجة: مهو كانوا واخدين مساحة كبيرة على الكارت، بقولك إيه ما تشغل عمرو ضياب أحسن.

-عمرو ضياب! مش جايين نحي فرح خالتك إحنا (حاولت أن أتمالك أعصابي وأنا أتابع البحث في هاتفه حتى عثرت على ملف باسم «كوكتيل صرخات منوعة» فتحته لأجده مليء بالصرخات منها صراخ المعذبين في الأرض انشرح صدري وبدأت في ضبط ميكس صرخات ثم شغلته ووقفت أنتظر ردات فعلهم.

سمعت أحدهم يسأل في عصبية:

-إيه صوت الصريخ ده؟!

فردّ صوت يبدو أنه صوت طفل:

- ده تلاقيه الواد إمام ابن أم إمام مشغل قصص الرعب اللي بتيجي على الراديو.

ثم سمعنا بعدها صوت امرأة استنتجت أنها الأم.

-مش هيحرم غير لما يتلبس ابن حفيظة.

هنا أدركت أنني أتعامل مع بشر من النوع الغبي فأغلقت الهاتف وبدأت أفكر في خطة بديلة.

*****

وقفت في الحمام أمام عمار البيت والواد عِفرت الغبي وقلت:

- دلوقتي بما إننا بنتعامل مع كوم شكاير أغبياء صعب تخوفهم فإحنا لازم نستخدم معاهم طرق مباشرة وصادمة عن كده.

ثم أشرت على الكلمة الإنجليوية المكتوبة على مرآة الحمام واستطردت:

- MBC2

بان التعجب وعدم الفهم على ملامحهم فبدأت أوضح:

- دي خطة شفتها إمبارح وأنا بتفرج على MBC2 مش فاكر اسم الفيلم لأن كده كده كلهم شبة بعض، اللي حصل في الفيلم إن البطل دخل الحمام وفتح الحنفية فنزله منها دم بدل المايا أعتقد الفكرة بقت واضحة.

قال عِفرت استنتاجه:

-هنصور فيلم رعب؟

أمسكت أعصابي وحاولت تجنب غباءه الفج ثم شرعت أوضح فكرتي أكثر:

-هنعمل نفس الحركة هنخلي الحنفيات تنزل دم.

أرسلت عِفرت ليسرق كيسين من الدماء من أقرب مستشفى حتى نملأ بهما ماتور المياه، فإذا حاول أحد سكان الشقة فتح أي صنبور بالشقة، سينزل منه السائل الأحمر فيصاب بالفزع .

جلست مع عمار البيت في المطبخ نحتسي الزحلب ونتبادل أطراف الحديث إلى أن جاءتني مكالمة من عِفرت يقول فيها:

-ألو ياسطى، أنا خلصت وكل حاجة تمام هروح مشوار نصاية كده وراجعلك عايز حاجة؟

رددت: لا مش عايز حاجة ربنا يستر.

أغلقت الخط وتحركت لأقف في الطرقة الفاصلة بين المطبخ والحمام في انتظار أن يأتي أي أحد ليفتح أي صنبور ليفعل أي شيء. فجأة دخل عليّ رجل ضخم رباعي الكرش عظيم الأفخاذ يرتدي فانلة حمالات بيضاء، دخل الحمام قبل أن يغلق الباب على نفسه، لنسمع بعدها صوت رفع غطاء القاعدة!

همس أحد العمار في أذني:

- الراجل ده ممكن يستهلك الدم اللي إنتوا حطينه في الماتور ع الشطافة بس وممكن ما يخدش باله.

-لا تقلق المواسير لسه فيها مايه والدم مش هيلحق يطلعله، زائد إن حتى لو حصل هيشوف الدم على إيده الشمال إلا بقى لو مبيتشطفش!

صوت تدفق المياة، صوت السيفون المميز، لحظات وانفتح باب الحمام وخرج الرجل، كمّا توقعت الدماء لم تصل بعد، لم يحصل أي شيء سوى أنني أصبحت متأكدًا أن العمار لم يكونوا يبالغون بشأن معاناتهم مع الكرنب.

انتظرت أنا وعمار البيت أن يأتي أحد آخر من سكان الشقة، بمجرد أن مرت خمس دقائق وجدنا طفل صغير ثنائي الكرش يرتدي فانلة حملات بيضاء من نفس النوع الذي كان يرتديه الرجل وشورت وكأنه نسخة مصغرة عن والده، كان يرقص ويغني قائلًا:

- البط يقوم فرحان من النوم يغطس ويعوم وهات يالعب. يُغني ويتحرك كالبط وهو بالفعل يشبه البط إلى حدٍ كبير، دخل الحمام ولم يُغلق الباب فدخلنا وراءه لنراقب ما سيحصل، فتحَ الصنبور ثم وضع فمه ووجهه أسفل

فواهة الصنبور مباشرًا، وقفنا وكلنا حماس في انتظار أن يفيض الدم داخل فمه ووجهه في أي لحظة.

بعد مرور خمس ثوان بدات المياه تكتسب اللون البرتقالي، ونحن مُترقبين، بدا اللون البرتقالي يُصبح أشد قوة، ونحن نترقب أن يتحول إلى الأحمر، ثم لا شيء! توقف لون الماء عن التغير عند هذا الحد! أصابنا الجزع حينها المياه لونها برتقالي، ليس هذا وحسب بل تفور أيضًا! حينها اتسعت عينا الفتى الصغير، وأبعد فمه من أسفل الصنبور وراح يستطعم السائل في فمه قبل أن ينادي أمه بصوت عالٍ يغمره الفرح:

- ماما، الحنفية بتنزل ميرندا.

تصلبت في مكاني وتمنيت وقتها لو انشق الجحيم وابتلعني، أصبح شكلي وقتها عرة العرر أمام عمار البيت. اتصلت بعِفرت الغبي ووضعت الهاتف على أذني بينما أراقب العائلة االصغيرة وهي تعبئ الميرندا من الصنبور:

-أنت فين يا كلب البحر حاططلي ميرندا في الماتور!

رد مدافعًا عن نفسه:

- لقيتهم في المستشفى بيقولوا لازم تملى بيانات وتدفع فلوس علشان تأخد الدم، فقلت أجيب إزازة ميرندا اتنين لتر أهو قريب منه في اللون برضو.

صرخت: طب كنت هات عناب أو شربات فراولة حتى يا أخي.

-الشربات ده بيبقى في الأفراح بس يااسطى هو أنا غبي.

-لا مهو النهاردة دخلتك فعلًا(كتمت غيظي ثم تابعت) أقل من دقيقتين وتبقى قدامي.

خلال أقل من دقيقة كان عِفرت قد حضر أمامي بالفعل، وبمجرد أن رأيته قمت بـ..

*****

تم حذف ذلك الجزء من الحكاية لأسباب أخلاقية (الكاتب)

*****

بعد نصف ساعة:

بعد أن نجح العمار في تخليص مزمار رقبة عِفرت من مخالبي، انتظرت قليلًا حتى هدأت قبل أن أقف أمام الجميع في الحمام لأتكلم عن خطتي الثالثة:

-دلوقتي يا جماعة قبل ما أبدأ في شرح الخطة التالتة حابب أسأل سؤال مهم مين هنا بيعرف يلبس؟

قام أحد عمار البيت وقال بنبرة غاضبة: إيه نلبس دي! ما تحترم نفسك ياأستاذ.

أدركت إنه أسئ فهمي فصححت: قصدي يلبس بني آدمين، أنت اللي دماغك حادفة شمال ولا تزعل نفسك نخليها يَتَلبس.

أعدت طرح سؤالي بعد أن غيرت الصيغة: مين هنا بيعرف يَتَلَبس بني آدمين؟

فقام واحد آخر من العمار يقول: إحنا عُمّار يا رياسة، إحنا مبنلبسش هدوم حتى، ده حتى الحيطان مبنلبسش فيها علشان بنعدى من خلالها وبعدين المفروض دي شغلتك.

رددت: دي مهارة أنا لسه مش متمكن منها وممكن أموت اللي هلبسه.

لمحت عفرت رافعًا يده ويبتسم، فتجاهلته وتظاهرت بعدم رؤيتي له، في النهاية لَم أستطيع أن أتجاهله أكثر من دقيقة لأنه ما من أيادي مرفوعة غير يده.

-أنا مش عارف أنا هعمل كده إزاي بس أنا مضطر أعتمد عليك، بس خد بالك لو فشلت منصور هيشلحنا إحنا الاتنين.

قال لي: متقلقش يا كبير، أنت جيت في ملعبي أنا مستني الفرصة دي من زمان، هتشوف عِفرت عفركوش عفركت هيعمل إيه.

رفعت إصبعي السبابة لأعلى وأنا أقول:

-هو يستر بقى.

سألني أحد العمار مغتاظًا:

-هو أنت لامؤخذة خايف من إيه؟! ما تقول ربنا يسترعادي! مهو أكيد مش هنبقى قاعدين معاك وهنلبسك علشان قلت لفظ الجلالة في الحمام.

-دي أداب حمام يا عم.

-أداب حمام مين أنت شغال مع ساحر! كمل شغلك ياعم أنا مليش دعوة خلصونا بس.

عدت بنظري إلى عِفرت وسألته:

-طبعًا عارف هتلبس مين؟

رد بسرعة وثقة:

- طبعًا الواد الصغير معروفة يعني العيال الصغيرة في كل أفلام الرعب بيبقوا ملبوسين أوممسوسين.

-خلاص ع البركة.

انتظرنا حتى تأكدنا أن جميع سكان الشقة بما فيهم الطفل جالسون في الصالة، ثم أرسلنا عِفرت ليتمكن من جسد الصغير، كالعادة وقفت أنا والعمار نراقب ما سيحصل، صديقنا يمشي بتؤدة نحو الصغير بينما يمسك الأخير بمسدس بلاستيكي ويتحرك به في مختلف الاتجاهات مخرجًا أصوات غريبة من فمه على شاكلة:»بيو بيو..موتوا يا أشرار»

لوهلة شعرت بأن هذا الأحمق قد ينجح، لكن حين أدركت أنه يتسحب ليقترب من الفتى رغم أنه ما من أحد يراه، تراجعت آمالي من جديد! اقترب الغبي أكثر ووقف خلف الفتى وقبل أن يـ..

دار الفتى فجأة ووجه مسدسه نحو عِفرت وهو يقول: سلم نفسك يا تابع الشر المشرشر، مفيش ليك مهرب من طلقاتي النيزاكية.

فُزع عِفرت وتراجع إلى الخلف خطوتين وقال متوسلًا: والله العظيم ما عملتَ حاجة، أنا آسف مش هتتكرر تاني والله(نبرة صوته توحي للسامع أنه على وشك أن يبكي ندمًا)

لك أن تتخيل كم مرة لطمت وجهي بينما أرى الوكسة السوداء التي أنا فيها:

-يابن العبيطة.

بقى الفتى رافعًا مسدسًا في وجه عِفرت المُثبت في مكانه لثوانٍ قبل أن يدور ويبتعد راكضًا كالأهبل، لم أتمكّن من كبح جماح نفسي أكثر من ذلك جريت نحو الغبي الذي ظل واقفًا تسيطر عليه الدهشة وقبضت على كتفيه بمخالبي:

-ده منصور لو شاف اللي حصل ده هيحرقنا زي الأستاذ عزت العلايلي لما حرق الأستاذ عادل أمام في آخر فيلم الإنس والجن.

-ياريس مهو هددني إنه هيلسوعني بالطلقات النيزاكية.

- يابني مضطرنيش أهين الحاجة الطيبة أمك أكتر من كده، خايف من مسدس لعبة يابن العبيطة وبعدين هو الواد شايفك أساسًا، ولا أنت متأكد إنك جني يلا ولا أنت بتشتغلنا؟! طلعلي بطاقتك أشوف جنس ملتك إيه.

اغتصبت جيبه بيدي لأخرج بطاقته، قبضت على محتوياته وسحبت يدي، فوقعت من جيبه ورقة العنوان على الأرض، جذبت الورقة انتباهي، ولمحت فيها شيئًا أثار فضولي، انحنيت ألتقطها عن الأرض على الأرض فركزت في ما كتب فيها لأجد العنوان منزل رقم (2)!

- هاارك أسود ده العنوان منزل رقم (2) أمال إيه (6) ده؟!

ردّ وهو يرتعش:

-بجد! أصل معـ معلش يا كبير، أصل أنا كنت في مدارس إنجلش ومبعرفش أميز ما بين الاتنين(2) والستة(6) بالعربي.

في تلك اللحظة كُنت قد أتيت بأخري منه، فكورت قبضة يدي وقررت أن أساوي وجهه بالحائط، ضربته لكن يدي لن تصل لوجهه! على العكس كانت قبضة يدي تبتعد عنه، لحظات تعجب مرت عليّ قبل أن أدرك أنني أطير.. أطير!

للدقيقة كُنت محمولًا من قفاي ومرفوعًا في الهواء، ورأيت حينها الرعب يحتل ملامح وجه عِفرت، فجأة سمعت صوت ثقب طبلة أذني:

-سيدنا السحارعايزكم في وكر الجن.

كان صاحب الصوت هو الجني الأزرق الضخم الذي يحملني من قفاي، وخلال دقيقة كان يرفعني أنا والمتخلف عِفرت في الهواء بيديه الاثنين أمام منصور.

عند تلك النقطة تنتهي الحكاية ولا داعي لتعرف أكثر من هذا.

*****

أنهى مهيطل حكايته ليأخذ نفسًا عميقًا بعدها، تجمد عبده قليلًا قبل أن يسأل:

-بس كده! الحكاية خلصت؟

ردّ هيطا: آه..

-طب بالنسبة لمنصور عمل معاكم إيه؟

-بص هو أنا مش بحب أفتكر الموضوع ده بس الخلاصة إن الجني الأزرق اللي منصور بعته يجيبنه ده طلع تقريبًا قرين فرج اللي مثل في فيلم الكرنك مع الأستاذة سعاد حسني وحب يستعيد أمجاد قرينه الإنسي معانا.

-مش فاهم.

-أحسن برضو.

سأل عبده:

-طب وهو منصور ده عرف منين؟

فردّ مهيطل:

-يابني ساحر، أكيد كان مراقبنا بشكلٍ ما.

راح عبد التواب ينظر لمهيطل لفترة طويلة شاعرًا بأنه ينظر إلى أتفه مخلوقات الله على أرضه، يبدو أن مهيطل أدرك معنى نظرات عبده تلك فأسرع يقول:

-أوعى تفتكر إني جني هفق، أنا أقدر أعمل حاجات كتير غير إني أتهان.

قال ابن أخي بنبرة ساخرة:

-أه ما أنا عارف طبعًا.

قال مهيطل في حماسة:

- طب إيه رأيك لو أثبتلك إني أقدر أخليك تلمس النجوم خلال الفترة اللي قعدت فيها في تنك التوكتوك اتعلمت حاجات كتير.

أكمل عبده سخريته:

-زي إن حجر القص أحلى من السلوم مش كده؟

رد مهيطل على سخريته: مش كده وبس تعالى اركب معايا التوكتوك وهتشوف بنفسك أنا أقدر أعمل إيه.. تكاتك.

بمجرد أن نطق مهيطل كلمته الأخيرة أنار فانوس التوكتوك فجأة ودار ماتوره ذاتيًا! ركب عبد التواب التوكتوك وراء مهيطل فكان مهيطل هو ربان الرحلة. سأله عبده:

-أنت ناوي تروح بينا على فين الساعة واحدة بليل الساعة كام؟

داس مهيطل على دواسات التوكتوك فظهرت من العدم فتحة كبيرة في الهواء داخل المخزن، يخرج منها نيران لكن بألوان مختلفة عن ألوان النار التي عهدناها، تملك الفزع من عبد التواب الذي فقد القدرة على الكلام بينما التوكتوك يتحرك نحو تلك الفتحة.

صاح مهيطل: هولا دوبا لاما هولا دوبا لاااااع[1].

-اااااااااااااااه

تبع صيحة مهيطل صرخة عبده قبل أن تبلع الفتحة التوكتوك وهما بداخله، وكما ظهرت من العدم، اختفت إلى عدم.

*****

- هاه وبعدين؟

سألتها وأنا في ذروة فضولي فردت:

-ولا بعدين ولا قبلين، كفاية عليك كده النهاردة ونكمل يوم تاني.

-إزاي يعني؟! وحبكت تقفي هنا!

فقالت أم شريف بهدوء:

-الساعة بقت 9 بليل وأنا ست أخاف على سُمعتي، فمعلش بقى نكمل يوم تاني.

الموضوع مثير للسخرية حقيقةً، لكنها محقة إلى حدٍ ما؛ لذلك أنا مضطر أن أرحل، أملًا أن تكمل لي الحكاية في أقرب وقت.

---

(١) الصيحات: كان قادة الجن القدماء يستخدمونها في عصور حروب الجن والشياطين على الأرض السفلى، لتشجيع الحشد وجمعهم، أما الآن فيستخدمها الشباب للتعبير عن السعادة أو الاحتفال أو لعمل شفرة كلمية تربط الجماعة أو الشلة. #معلومات_من_الآخر_عن_العالم_الآخر مع الحاجة أم شريف

(4)

دوار العمدة دراكولا

بعد مرور يومين على أخر لقاء بيني وبين أم شريف، ذهبت إلى بيتها في تمام الساعة الرابعة عصرًا وكلي شوق إلى معرفة باقي حكايتها الغريبة عن عبد التواب ابن أخيها والجني الذي ظهر له. بمجرد أن وصلت أمام شقتها وجدت بابها موارب ويخرج من الشقة صوت أغنية غريبة أسمعها للمرة الأولى.

(عايم في بحر الغدر.. شط الندالة مليااان.. بقلوب ماليها الشر.. والبر ماله أمان)[1]

خبطت ثلاث خبطات على الباب فجاء صوت أم شريف يطلب مني الدخول، دلفت إلى الداخل لأجدها جالسة فوق كنبتها العتيقة كما تركتها مُنذ يومين وعلى حجرها طبق استقرت بداخله رأس ثوم تفتك بها بأصابعها وتتندن مع الأغنية.

-نجي الخسيس منه.. أما الأصيل غرقاااان

تنحنحت قبل أن أقول: السلام عليكم يا حجة أم شريف.

ردّت: وعليكم.. إزيك يا حموكشة.

-حموكشة!

-أنا اللي أحبه أقله يا حموكشة.. ده حتى لايق عليك والله.

-ياستي أنا كاتب محترم.

-أفسحه في الهرم.

-ايه!

(١) مهرجان (الوشوش ألوان) لأحمد عزت وعلى سمارة (الكاتب)

-ولا حاجة يابني اقعد اقعد..

كُنت على وشك الجلوس لكنها استوقفتني:

-ولا أقولك استنى، ادخل المطبخ هاتلك رأس توم وطبق صغير وتعالى قشر معايا.

اضطررت أن أنفذ ما تطلبته مني كي أعرف منها باقي القصة، بعد ثلاث دقائق كنت كمرتي السابقة أجلس على الأرض وبحوذتي طبق أحاول أن أقشر فيه رأس ثوم مستخدمًا أظافري، بينما هي فوق الكنبة، أغلقت الاغنية التي كانت تسمعها وبدأت تحكي..

*****

اليوم أحكي لك حكاية جديدة حكاية عن قرية مصرية هادئة، أهلها ناس طيبون لم يشتكوا من بعضهم يومًا أويتعاركوا، لكن هذا السلام لا يكون سوى في النهار فقط، أما في الليل تتحول القرية إلى مكان آخر، البشاشة على وجوه أهلها تتحول إلى خوف، تقفل الأبواب بإحكام بالعديد من الأقفال الحديدية، والأهالي يحتضنون أطفالهم ليمدونهم بالأمان ويطردون من قلوبهم الخوف من الشر المستيقظ في الخارج، يدعوا الجميع أن تمر الليلة دون أن يسمعوا الصرخة، صرخة ضحية الليلة الضحية التي سيستيقظون صباحًا ليجدوا جثتها ملقاة وسط البلد دون نقطة دم واحدة حولها أو فيها! ماذا حصل؟ لا أحد يعرف أو ربما يعرفون لكنهم يخافون من أن يصارحوا أنفسهم بحقيقة ما يحصل، ورغم أن ما يحصل كان فوق استيعابهم، إلا أنه مع الوقت أدرك أهل البلد حقيقة مهمة أنه أيًا كانت ماهية الشيء المسئول عن هذا الذعر فهو يكره أو يخاف بعض الأشياء، ولديه بعض نقاط الضعف، هو يكره الضوء، والثوم، والفضة، ولا يقتحم البيوت إلا إذا أذن أصحابها له بالدخول. فاستغل أهل القرية ما يكره من أشياء وجعلوها حجاب حصين يحفظ بيوتهم من الشيطان الذي يتحرك في قريتهم ليلًا.

بعد أن دخل تكاتك- وهذا هو اسم التوكتوك بالمناسبة- في الفتحة التي

ظهرت من العدم داخل المخزن، دارت الدنيا بعبد التواب ومهيطل داخل التوكتوك، شعر عبد التواب وكأنه يطير وسط ممر النيران الملونة هذا، كان المشهد غريب ومبهر لم يستطع عبده أن يغمض عينيه للحظة عن هذا المشهد المبهر، فجأة ظهرت وسط النيران فتحة كان من الواضح أنها المخرج من هذ الجحيم الملون، توجه التوكتوك نحوها وخرج منها قبل أن تُغلق وراءهم ليجدوا أنفسهم داخل التوكتوك وسط ظلام شديد يغطي كل شيء من حولهم!

تأمل عبد التواب المكان من حوله فوجده قرية من قرى الفلاحين؛ بيوت متراصة بجوار بعضها البعض، مبنية من الطوب اللبن الذي كان يستخدم في بناء البيوت في الماضي، وكان من الواضح أنه لا يوجد هنا أي مصدر إضاءة كهربائي.

فسأل عبد التواب مهيطل بذعر:

-هو إحنا فين؟ وإيه اللي حصل ده؟ وإيه المكان اللي إحنا كنا فيه ده؟ أنا مش فاهم حاجة!

رد مهيطل بهدوء:

-اللي إحنا دخلنا فيه ده ممر في ستار الزمكان، أقرب لفظ شائع في عالمك يقربلك فكرته إنه ثقب دودي.

-طب وإحنا إيه اللي دخلنا في ثقب دودي، ما نسيب ثقوب الناس في حالها.

-ثقب دودي يا بني آدم، جاية من الدودة بص هو موضوع صعب شرحه بس هحاول أختصرهولك، هو الموضوع إن إحنا في زمن تاني أو في خط زمني تاني في العالم بتاعنا، لكن في بقعة تانية من الزمكان، وممكن أثناء تقدمنا أو تأخرنا في الزمكان تحصل حوادث طفيفة تخلي تاريخ العالم ده مختلف شوية عن العالم اللي نعرفه، وده بيخلق خط زمني جديد أو واقع جديد مع بعض الاختلافات اللي ممكن تكون كبيرة جدًا أو طفيفة جدًا، يعني دلوقتي

في الزمن بتاعنا إحنا في القرن الواحد والعشرين لكن في البقعة دي واضح إننا في زمن أقدم شوية، ممكن القرن التسعتاشر أو أوائل القرن العشرين، وزي ما قلتلك ممكن يكون في بين الخطين بعض الاختلافات؛ يعني ممكن في الخط ده جدك ميتولدش فأنت متتولدش أو تتولد متأخر واختلافات كتير صغيرة من النوع ده. أثناء استغراق مهيطل في الشرح كانت بلادة الدنيا وغباؤها مرتسمان على وجه عبد التواب الذي قال بعد أن أنهي مهيطل كلامه:

-عليًا النعمة دي دماغ صراصير، وده كلام واحد بيشد بودرة.

-بودرة إيه ياعم أنت ده علم ضخم جدًا، أنا بقالي سنتين قاعد في المخزن بقرأ في الموضوع ده بالنسبالكم في عالم الإنس الكلام ده كله نظريات غير مُثبته، لكن في عالمنا أثبتنا ده من زمان، لكن لسه العلم ده غير متاح بل محرم وأسراره مقتصرة على الصفوة، لكن أنا معايا تكاتك.

بمجرد أن قال مهيطل كلمته الأخيرة أنارالتوكتوك مصباحه الأمامي مرتين ثم أغلقه.

سأل عبده:

-أيوة بعد الهري ده كله إحنا فين برضو؟

نظر مهيطل نحو التوكتوك ووجه له سؤال:

-إحنا فين يا تكاتك، إديني إشارات ضوئية من غير صوت علشان منجبش لنفسنا مشاكل.

بدأ التوكتوك يُنير مصباحه الأمامي ويغلقه عدة مرات، في بعض المرات ينير المصباح وينغلق في نفس اللحظة، وفي مرات أخرى كان يُنير لثانيتين ثم يعود لينغلق من جديد، بقى التوكتوك على هذه الحال لفترة طويلة قبل أن يتوقف مصباحه تمامًا عن الإنارة.

حينها تكلم مهيطل أخيرًا وقال: إحنا في مصر في شبين الكوم تحديدًا.

تعجب عبد التواب:

-أنت بتكلم التوكتوك!

-يابني ده مش توكتوك عادي، ده مسحور الطريقة اللي بيكلمني بيها دي شفرة مشهورة اخترعها واحد من بني جنسك اسمه (مورس) والشفرة اتسمت على اسمه، شفرة ممكن نتواصل بيها مع الناس عن طريق الضوء أو الصوت أو حتى الدخان.

علق عبد التواب بسئم على كلام مهيطل:

-بعدين في فقرة البرنامج الثقافي اللي فتحت دي من ساعة ما وصلنا هنا اخلص هنعمل إيه دلوقتي؟

ردّ مهيطل:

-هناخد لفة بالتوكتوك.

داروا في القرية حوالي نصف ساعة، لاحظوا خلالها أن البيوت هادئة تمامًا وكأن البشر هجروها، لولا بعض العلامات التي تدل على وجود حياة هنا لظنوا بالفعل أن أهل تلك القرية قد تركوها خلفهم، من بين علامات الحياة تلك علامة غريبة جدًا، كان هناك كميات مهولة من الثوم المعلق أمام جميع أبواب القرية، كميات كبيرة إلى الحد الذي يجعلك تتيقن أن أهل تلك البلد لا يأكلون غير الثوم. أثناء رحلتهم القصيرة داخل القرية لم يكف عبد التواب للحظة عن ترديد عبارة واحدة داخل رأسه:»هصحى في أي وقت دلوقتي هصحى في أي وقت».

فجأة تعطل التوكتوك.

-يادي النحس!

قالها مهيطل بينما يهبط من التوكتوك مغتاظًا، فسأله عبده:

-إيه اللي حصل؟

- تقريبًا مفيش نقطة جاز واحدة يمشي بيها التوكتوك، السفر عبر الزمن بيسحب جاز كتير.

سأل عبده: وإيه الحل؟ رد مهيطل: مفيش حل غير إننا ندخل الدوار اللي قدامنا ده ونسأل يمكن نلاقي عندهم جاز.

تركوا التوكتوك أمام باب حديقة الدوار المفتوح ثم دلفوا إلى الداخل، كان شكل الدوار مهيب، أسود، مرعب، هناك بعض التماثيل التي تأخذ هيئة الذئاب تجلس أمام بوابة الدوار، اقترب الاثنان أكثر بينما ترتعش ركبتي عبد التواب إلى أن أصبح الاثنان على بُعد خطوة من بوابة الدار، أوشك مهيطل أن يطرق باب البيت إلا أنه تراجع فجأة عن قراره وقال ناظرًا نحو عبده:

-أنا عايز أديك الساعة الفضة بتاعتى تلبسها.

- وهو ده وقته؟!(سأل عبده مُستغربًا)

أصرّ مهيطل:

- ياعم خدها إلبسها بس أنا ليا أسبابي، وبعدين أنا عارف إن عينك فيها من ساعة ما شفتني.

خلع هيطا الساعة قبل أن يضعها حول معصم عبده الأيمن.

قال عبده: بس دي بتتلبس في الشمال ياسطى!

مهيطل: لا دي لازم تتلبس في اليمين، ده الاستايل بتاعها.

-بص أنت غريب بس قشطة هدية مقبولة ياصاحبي، رغم إنها للأسف هتختفي لما أصحى من الحلم.

-نعم؟!

-لا افتكرت واحد صاحبي كان جدع زيك كده، هتخبط أنت ولا أخبط أنا؟

-لا اتفضل أنت.

دق عبد التواب ثلاث دقات على الباب وانتظر أن يفتح له أحد.

مرت عشر ثواني دون رد. فقال مهيطل:

-تقريبًا مفيش حد موجود نيجي في وقت تانى يكونوا رجعوا بالسلامة.

قال عبد التواب:

- أنت جاى تزور خالتك، وبعدين ياأبو الغباء افرض حد فتح وشاف وش أمك ده، أنت مش ملاحظ إنك أصفر وودانك طويلة؟!

ظهر حزن مصطنع على ملامح مهيطل العفريتية وهو يقول بصوت ملأه الأسى:

- بتتريق عليا! إن شاء الله هيطلعلك في عيالك.

فجأة فُتح باب الدوار فغير مهيطل شكله في أقل من الثانية ليغدوا لونه وشكله كالبشر تمامًا. فزع عبد التواب من التغير المُفاجئ الذي حصل في شكل مهيطل لكنه تدارك الأمر بسرعة وعاد تركيزه إلى الباب الذي فُتح.

-أقدر أساعدكم في حاجة؟

هذا هو السؤال الذي وجهه لهم الرجل الذي كشف عنه باب الدوار، فحدق عبد التواب به للحظات متأملاً مظهره الغريب، كان يرتدي جلبابًا أسود مع كوفية أو تلفيحة حمراء حول رقبته، كالثلج بيضاء بشرته إلى حد لا يناسب أبدًا كونه من سكان الريف المصري، وفي منتصف وجهه شاربٌ كثيف تم تجذيبه والعناية به بشكل جيد ولفه، تجمدنا أمامه قليلًا فتجلت الدهشة على وجهه من هيئتنا وملابسنا. كرر سؤاله:

-أي خدمة يا أفنديات؟

نطق عبد التواب أخيرًا:

-إحنا التوكتوك بتاعنا عطل بره قدام الدوار وكُنا بنسأل لو عندكم هنا سولار ليه؟

زادت كلمات عبده من تعجب الرجل فرفع حاجبه الأيمن، قبل أن يتدخل مهيطل ليصلح الأمر:

-قصده التنوبيل حضرتك، إحنا مش من البلد هنا ومحتاجين بس جاز، ومكان نقعد فيه لحد الصبح.

تأملهم صاحب الدوار للحظات قبل أن يُثبت نظره عند رقبة عبد التواب لثوان ثم ينتقل بعدها بنظره إلى رقبة مهيطل، ابتسم بخبث وقال:

-طبعًا طبعًا اتفضلوا ادخلوا وارتاحوا.

أظهرت ابتسامته أسنانه فلمح«عبد التواب» النابين المدببين اللامعين على جانبي فمه! قبل مهيطل دعوة الرجل لدخول الدوار، وتبعه عبد التواب بخطوات مترددة وقلب مقبوض، رحب بهما الراجل بطريقة شبه مسرحية وقائلًا: أهلًا بيكم، أنستوني وشرفتوني في دواري، أنا عمدة البلد هنا، واسمي دراكولا.

ارتجفت أوصال عبد التواب بمجرد أن سمع الاسم بينما مضيفهم يتابع حديثه:

-دقايق وهيكون العشاء جاهز الدوار دواركم استريحوا في أي مكان تحبوه.

قال مهيطل:

-الله يخليك يا عمدة، بس ده كتير والله.

رد العمدة:

-لا إحنا نفهم أوي في الأصـول، أكيد إنتوا جعانين زيي.

قال آخر كلماته ببطء بينما يؤكد على مخارج

أحرفه، ثم التف وغادر ليتركهم واقفين وحدهما. اقترب عبد التواب من أظن مهيطل وقال بصوت خافت:

- أحيه! أنت مسمعتهوش بيقول إيه؟

استفسر مهيطل:

- بيقول إيه يعني؟

قال له:

- بيقولك دراكولا، ودوار، والتوكتوك بتاعنا عطل قدام بيته. كل ده مش بيفكرك بحاجة؟

تعجب مهيطل:

-حاجة إيه؟!

-الفيلم ياعم، مشفتش فيلم دراكولا؟!(سأل المنحوس ابن أخويا)

- يا عم بطل هبل دراكولا إيه دلوقتي، وأفلام إيه؟! بيقولك عشاء، أنت عارف أنا بقالى كام سنة متعشتش؟(كانت لهجة مهيطل ممتلئة بالسخرية من استنتاجات عبده)

-ده أنت عفريت معفن، أنت مشفتهوش وهو بيقول إنتوا أكيد جعانين زيي، مشفتهوش وهو بيبص على رقبتي ورقبتك قبل ما يدخلنا، الراجل ده يا من مصاصين الدماء يا شاذ، وفي الحالتين هنتمرجن[1].

قطع حوارهما الظهور المفاجئ للعمدة أمامهما من العدم فبلع عبد التواب كلماته بسرعة وحاول أن يبتسم فخرجت ابتسامته مليئة بالرعب، بادله العمدة بابتسامة هادئة تبعها بقوله:

---

(١) الكلمة في قاموس الميمز المصرية تأتي بمعنى يفعل أو فعل أو يُفعل به فهي تستمد معناها من سياق الحوار، فهنا مثلا أتت بمعنى (يُفعل به) ويُنسب الفعل (مَرجن) إلى شخصية مرجان أحمد مرجان(الكاتب)

-الأكل جاهز وموجود على السفرة، اتفضلوا معايا.

همس مهيطل في أذن عبده:

-شايف يابني الذوق والاحترام، الراجل ده مش طبيعي.

-مهو ده اللي بقوله من الصبح الراجل ده مش طبيعي.(قالها عبده وهو على وشك لطم خديه)

لا توجد مرآة واحدة بالمنزل، كانت تلك من أهم الأشياء التي لاحظها عبد التواب أثناء توجههم إلى السفرة، جلس ثلاثتهم على كراسي السفرة التي كانت مفروشة بكل ما يخطر على بالك من طيور مشوية ومقلية ومحشية، وأمام كل واحد منهم كوب طويل فيه عصير لونه أحمر مجهول الماهية. شرع مهيطل في الأكل كالمفجوع بينما ظل عبده مترددًا خائفًا يحاول أن يستنتج كيف ومتى تم تجهيز هذه الكمية من الطعام، ومَن الذي قام بتجهزه وهما لم يريا أحد بالبيت غير العمدة!

سألهما العمدة بعد أن شَرب قليلًا من العصير الأحمر أمامه :

-صحيح معرفتش أسماءكم.

ردّ مهيطل بفم مليء بالطعام:

-ده عبده، اممم اممم وأنا عطيه، ولاد عم.

-شرفتوني، خلصوا أكلكم والأوض جاهزة فوق لو حابين تطلعوا تناموا.

قال عبد التواب في ذعر:

-لا مش هينفع أنا شايف إننا تقلنا عليك، أنا من رأيي نمشي.

-تمشوا!(خرجت من العمدة بنبرة غاضبة لتهتز فجأة كل الموجودات من حولهم بما فيها الطعام فوق المائدة ليستطرد العمدة): مينفعش أسيبكم تمشوا، أنتوا لازم تباتوا.

قال مهيطل والأكل يقع من فمه المحشو:

-أنت صاحب واجب أوي ياحاج، امممممم.. بما إنك مُصرّ مممممم والله ما هنكسفك يا حاج، ياريت لو عندك أوضتين يبقى كتر خيرك علشان مبعرفش أنام مع حد في نفس الأوضة.

(الله يخربيت أهلك ماأنت عفريت صحيح هتخاف من إيه، تلاقيك معندكش دم أصلًا) كانت تلك هي الأفكار التي تدور في عقل عبد التواب الذي وجد نفسه خلال عشر دقائق يجلس وحيدًا في غرفة منفصلة عن مهيطل؛ كانت الغرفة ذات مساحة معقولة، يتوسطها سرير كبير بدا مريحًا، وككل غرف القصر فإن إضاءة تلك الغرفة تعتمد على الشموع والشمعدانات.

حاول أن يخرج من الغرفة فوجدها مغلقة بالمفتاح! لا مهرب له حبيب عمته سوى النافذة، لم يحتج إلى إلقاء نظرة ليعرف أن محاولة القفز من هنا تعني الموت، لكن فكرة أن كل هذا مجرد حلم لاتزال مسيطرة على تفكيره، لذلك فكر في احتمالية أن يستيقظ من هذا الكابوس عدا قفزمن النافذة. نظر من النافذة إلى أسفل فوجد شيء ما يزحف في ظلمة الليل على جدران الدوار متجهًا نحو النافذة الذي يطل منها! أغلق النافذة بسرعة وهو يكرر بصوت ملأه الخوف:

-ده كابوس وهصحى منه، ده كابوس وهصحى منه.

لحظات مرت قبل أن يطل عليه وجه العمدة دراكولا من الخارج لا يفصل بينهما سوى زجاج النافذة، عينيه جمرتان من نار يتوعدان بالويل، طرق العمدة فوق الزجاج عدة مرات لكن كان من المحال أن يفتح عبد التواب، كف العمدة عن الطرق ثم ابتسم لعبد التواب ابتسامة زرعت الرعب في قلب الأخير، قبل أن يتحول وجه العمدة إلى شيء مرعب يصعب وصفه، فتح فمه عن آخره فأصبح اتساع فمه أكبر من رأسه ذاتها، ثم برزت أسنانه كلها وأصبحت مُدببة الشكل!

غرز الكائن المرعب الذي كان العمدة قبل لحظات أسنانه المدببة في زجاج

النافذة، ثم بدأت رأسه في الدوران 180 درجة ليصنع قطع دائري في زجاج النافذة، عادت رأسه إلى شكلها الطبيعي ثم ضرب بيده في مكان القطع الدائري ليزيح الزجاج المقطوع، فأصبح هناك فُتحة تسمح بدخول يده ليفتح قفل النافذة ويفتحها.

حصل كل هذا أمام عبده المتسمر في مكانه من شدة الهلع، وحين أصبح العمدة على بُعد خطوات منه بدأ يولول كالنساء:

-يالهوييي.. هيموتناااااي.. هموت ممصوص.. هموت ممصوص.. يا صغير عالمص يا عبده.

قال العمدة دراكولا وهو يرمقه بشراسة:

-أخيرًا ده أنا بقالي أيام طويلة من غير دم، تعاليلي يا بطة.

-إلحقونااااااي

صرخ عبده وهو يحاول الإفلات من قبضة العمدة الذي انقض عليه، تمكن عبده من الهرب في آخر لحظة وأمسك بأول شيء وصلت له يداه-الشمعدان الذي يُضئ الغرفة- وضرب به العمدة على رأسه ليخرج من الأخير صوت فحيح كالأفاعي، أظلمت الغرفة بعدها لكن عيون العمدة المتوهجتين كالجحيم برزتا وسط العتمة، فوقع عبد التواب على الأرض مُدركًا أنه الآن يحارب شيئًا قادرًا على رصده داخل نسيج الظلام، أغمض عينيه ورفع يده اليمنى إلى الأعلى بشكلٍ تلقائي فحصل شيء غريب صرخ العمدة كذئب جريح وسمع عبده صوتَ خطواته المتراجعة إلى الخلف!

فتح عبده عينيه فرأى الضوء وقد عاد إلى الغرفة بالكامل إثر حريق تسبب فيه لهب الشموع الساقطة من الشمعدان، تجمد عبد التواب في مكانه قليلًا يحاول استيعاب الموقف وفهم السبب الذي جعل المسخ يتراجع عن الفتك به، لكن قطع تفكيره وتجمده ظهور مهيطل المفاجئ داخل الغرفة بلونه وشكله الحقيقين، ظهورمن العدم يليق بجني.

قال مهيطل موجهًا كلامه لعبده في عجالة:

-امسك إيدي.

أمسك عبد التواب يد مهيطل وسط نظرات الدهشة والذعر البادية في عيون العمدة من شكل مهيطل الحقيقي، اختفى الاثنان في لحظة وفي اللحظة التي تلتها وجد عبده نفسه برفقة مهيطل داخل التوكتوك.

أدار مهيطل محرك التوكتوك فتعجب عبد التواب وسأل بدهشة:

-بس إزاي!، هو مش فاضي؟!

رد مهيطل وقد بدأ التوكتوك يتحرك بهما:

-هفهمك بعدين.

جرى مهيطل بواسطة التوكتوك بينما يحرك يده بين الضغط على كلاكسات التوكتوك وفتح وقفل ضوء المصباح الأمامي أملًا في أن يتكفل ذلك بإيقاظ سكان القرية وقد كان، بدأت بالفعل أضواء لمبات الجهاز تُضيء، بدأ مهيطل يصيح بصوت عالي ساعد السكون على انتشاره في أرجاء القرية:

-يا أهل البلد، يا أهل الأرض، عارفين مين اللي راعبكم ومطير الأمان من لياليكم؟ العمدة.. العمدة بتاعكم هو إللي بيمص دمكم، إبليس متجسد على شكل بني آدم، يا أهل البلد، يا أهل الأرض.

لم يستجب أحد حتى اللحظة إلى نداء مهيطل، لايزال التردد والرعب يسيطر على قراراتهم، من بعيد رأى عبد التواب العمدة قادم في اتجاههم بسرعة والجحيم يشتعل في عينيه.

-إلحق ده جاي ورانا وشكله ناويها.

قالها عبده بصوت مرتجف فزاد مهيطل من سرعة التوكتوك واستمر في النداء:

-فين رجالة البلد، فين شبابها، أخرجوله حاربوه بالتوم والفضة اللي بيخاف

منهم، حابين تعيشوا زي الفيران في الجحور لحد ما تموتوا، حابين تفضلوا مستخبين جوه بيوتكم زي الحريم.

أخيرًا استجاب أحد رجال القرية وخرج من بيته مسلحًا بحزمة من الثوم، ثم تبعه الثاني فالثالث، وبدأ الجميع في الاحتشاد.

-برافو ياسطى خطتك نجحت بس الخطة دي فيها خرم أكبر من البلاعة المفتوحة عندنا في المنطقة، الناس دي لما تشوفك بمنظرك ده جوه التوكتوك هيفتكرونا إحنا الأشرار وهتاخد علقة مخدهاش متظاهر في أمن الدولة.

كان هذا التعليق صادرًا من عبد التواب فرد عليه مهيطل بثقة:

-يابني عيب والله كلامك ده فيه إهانة لقدراتي أنا والتوكتوك ده كجني والتوكتوك الملعون بتاعه(ثم حول ضفة الحديث إلى التوكتوك): تكاتك، غطيها لتبرد.

أصدرالتوكتوك صوت يدل على الاستجابة إلى أمر صاحبه، لكن شيء لم يتغير!

-أيوة ياعم الروش وبعدين.(سأل عبده مستفسرًا فرد صاحبنا الجني)

-التوكتوك دلوقتي خفي، إنت مش حاسس بحاجة علشان إنت جوه، لكن محدش من البشر دول شايفنا.

أثناء تلك المحادثة القصيرة كان العمدة دراكولا قد وصل إلى منتصف القرية، ليفاجأ بحشد من الرجال القروين الأشداء يسدون عليه الطريق! في كل لحظة كان عددهم يزداد أصبح هناك العشرات منهم يطوقونه، هنا شعر بالقلق وتسرب الخوف إلى صدره، فقرر أن هذا هو الوقت المناسب للاستعانة بقدراته الخوارقية، حول نفسه إلى وطواط صغير وبدأ يحلق مرتفعًا في السماء، لكنه لم يتوقع أن يقوم أحد أطفال القرية باصطياده مُستخدمًا نبْلته الصغيرة. هوى العمدة على الأرض كطائرة حُطم جناحها وعاد إلى شكله الآدمي لكن بذراع مكسورة، التف حوله رجال القرية وهم يبتسمون

ابتسامات شريرة متوعدة، وبدأوا يناولون بعضهم الثوم ويأكلونه حتى دون تقشير، هنا شعر العمدة بهلع لم يشعر به في حياته وأدرك أنها النهاية.

على الجانب الآخر من القصة كان مهيطل يضغط بعض الأزرار داخل التوكتوك لتظهر من العدم ذات الفتحة ذات النيران متباينة الألوان التي أتت بهم إلى هنا، فقفز التوكتوك داخل تلك الفتحة بسرعة. كان آخر ما شاهده عبد التواب قبل أن يبتلعه الجحيم الملون مشهد الحلقة الآدمية وهي تضيق على العمدة دراكولا، وآخر ما سمعه صوت الحححححححححح الكبيرة التي خرجت من أجواف أهل القرية ليصرخ العمدة بينما يحترق من رائحة الثوم التي تم إطلاقها في وجهه.

الرحلة داخل دوامة اللهب الملون لم تستغرق ثوان، ثم فُتحت فتحة جديدة في نسيج الزمن تؤدي إلى المخزن المجاور لزريبة البهائم الخاصة بكريم اكس.

*****

«شيطان ضحك ع الكل.. والذل كان عنواااان.. نشر الفجور والظلم.. مابين بني الإنسان»

*****

بمجرد أن وصلوا إلى المخزن فتح عبد التواب عينيه ثم أغلقها عدة مرات ليصرخ أخيرًا في فرح:

-أنا حي، أنا حي (لكنه سكت فجأة وتغيرت ملامح وجهه كمن تذكر شيئًا) خُد هنا، أنا في حاجات كتير لسه مش فاهمها التوكتوك اشتغل إزاي؟! ولما أنت عارف إنه ممكن يهجم عليا بليل سِبت له الفرصة ليه؟! أنا مش فاهمك!

ابتسم مهيطل وقال:

-أنا كنت عارف من الأول إحنا فين وإيه الشيء اللي بنتعامل معاه ده،

وحبيت بس ألاعبك شوية بس مكنتش هسيبك كده ملط قدام الفاميير ده علشان كده إديتك الساعة الفضة بتاعتي عسى إنها تحميك، وفعلًا هي اللي حمتك لما أنت وقعت على الأرض وحاول يهجم عليك فرفعت إيدك اليمين، بس كنت مقنع أنا بقى سهل عليا ألعب دور الغبي من كتر مُعاشرتي للأغبياء.

صدر لفظ اعتراضي من عبد التواب وأكمل كلامه:

-بتعمل فيا مقلب! طب افترض كان قلبي وقف ولا حوار الساعة ده منفعش.

-ياعم ربنا ستر بس إنت كان شكلك حوار وإنت مرعوب وهتعملها على نفسك.

وانفجر مهيطل ضاحكًا بينما يتذكر شكل عبد التواب وقت هجوم العمدة عليه.

-يا أخي كان يوم أصفر يوم ما شفت وش أمك ده، وأنا غلطان إني قاعد مع *** زيك(تذكر عبد التواب شيء آخر فقال) ده زمان النهار طلع وخالتي قلقانة عليّا.

أخرج عبد التواب من جيبه جواله صيني الجنسية وألقى على شاشته نظرة ليتأكد هل اتصل به أحد أم لا. سأل نفسه بصوت عالٍ: هي مرنتش ولا مرة ليه؟! أكيد في مشكلة.

فرد مهيطل على خواطره: يمكن علشان مفيش شبكة في القرن التسعتاشر مثلا، ثم إن الساعة واحدة وربع بعد نص الليل النهار مطلعش لسه.

تعجب عبده:

-واحدة وربع إزاي؟! إحنا قعدنا في القلعة دي مش أقل من تلت ساعات، إزاي عدى ربع ساعة بس!

فرد مهيطل:

-جوه الممرات الزمانية أنت بتتحرك بره الزمن والواقع، الاتنين ملهمش وجود

والمقاييس بين كل واقع مختلفة عن التاني.

-رجعنا للكلام الغريب ده تاني(همهم بها عبده ممتعضًا قبل أن يقول): طب عن إذنك يا جناب العفريت، ممكن أروح لعمتي، أو ممكن أصحى من الكابوس ده وأخلص، وحل مشاكلك مع الممرات الزملكوية دي بعيد عني.

-أقعد بس دي السهرة لسه هتحلو في واحد صاحبي جاي النهاردة يحشش معايا في المخزن، شخصية عظيمة لازم تقابله معاده دلوقتي هتلاقيه داخل علينا في أي لحظة.

رد عبده وقال:

-ياما جاب العفريت لأمه يا سيدي أصلها ناقصة عفريت تاني.

تحمس مهيطل وراح يتكلم عن صديقه القادم وكأنما يقدم مطرب فوق خشبة مسرح:

-أولًا أنا جني مش عفريت، ثانيًا ده مش جني عادي ده الجنيرال بذات نفسه، صاحب أكبر موقف ميكروباصات في عالم الجن.

في تلك اللحظة، ظهر من العدم لهب أزرق وسط المخزن وبدأ اللهب يتشكل ليصبح ذا هيئة واضحة؛ كائن أزرق اللون، ضخم القرنين، يتوسط وجهه شارب كث، ويرتدي ترنك (ترينج) رياضي أزرق، ابتسم ذلك الكائن وقال بصوت ضخم وكأنما خرج من كهف دب:

-مِسا مِهندسة يا هيطا حبيب ألبي

(5)
الإنس والجِنيرال

-مجعوتش يا حموكشة؟

سألتني أم شريف فأجبت:

-لا أنا تمام ياحاجة، كلت قبل ما أجي.

-لو جعان قول ما تتكسفش من خالتك أم شريف.

-لا والله أنا تمام كتر خيرك، خلينا بس نكمل الحكاية.

قالت بإلحاح: خلاص يبقى تحلي أما أنا عاملة جوه صينية قرع عسل بالبشاميل، تكولها من هنا ويجيلك غيبوبة سكر من هنا.

-لا يا حاجة بالهنا والشفا إنتي.

تغيرت نبرة صوتها وأصبحت أكثر حزمًا:

-قوم يا ولا هات صينية القرع من جوه، واقعد خلصها قدامي حالًا دلوقتي، ماأنا مش بعمل الحاجة دي لأمي.

نفذت طلبها مجبرًا حتى تكمل لي الحكاية، أحضرت الصينية الصغيرة وملعقة وأكلت ملعقتين منها، قبل أن أقول:

-تسلم إيدك يا أم شريف والله، والله صينية القرع دي ما ناقصة غير صوتك الحلو وإنتي بتحكي حواديتك الحلوة.

ابتسمت نصف ابتسامة ونظرت لي نظرة الذكي الفاهم لكل شيء وهي تقول:

-كُل يا واد بعقلي قرع ماشي يا أونطجي هكمل.

*****

قال مهيطل وهو يرقص فرحًا:

-دابادابا دابادابا دابادابا داب

-يا حلاوة الكبدة مع السفن أب.

خرجت الجملة السابقة من الجني الأزرق الذي نزل من الميكروباص توًا، فتابع مهيطل رقصه وهو يقول:

-طب هيلاهيلا هيلاهيلا هيلاهيلا ايه

-إزي ودانك عاملين إيه؟

رد الجني الأزرق للمرة الثانية قبل أن يحتضن الجنيين بعضهما البعض بينما ينظر عبد التواب إلى فقرة الساحر تلك بغباء، بعد أن انتهى الاثنان من السلامات والأحضان سأل عبد التواب بصوت مرتجف:

-إنت إيه؟

رد مهيطل: ده الجِنيرال التباع صاحبي من الجن الأزرق

رد عبده مستظرفًا:

- جن مين ياعم ده شبه سواقين الهيئة، أنا عندي واحد صاحبي شبهه بالظبط.

قال هيطا بصوت خافت:

- يابني بقولك جن أزرق، أنا مش قلتلك قبل كده الجن الأزرق دول عبارة عن إيه؟

تذكر عبد كلام مهيطل عن الجن الأزرق فاتسعت عينيه وقال بصوت مرتعش:

-هاااااار أزرق حكومة؟! أنا آسف يا باشا، والله أنا أمي معرفتش تربيني بس أصل أنا هفهمك أنا أساسًا يتيم، وبجري على عمتي أرملة ياباشا ووالله مكنش قصدي أتريق على جنابك.

ضحك الجِنيرال فاهتز كرشه وشاربه الكث وقال:

-جنابي! هي جنابي كبيرة فعلًا من قاعدة الميكروباص.

انفجر عبد التواب في الضحك محاولًا مجاملة الجِنيرال وهو يقول:

-مش ممكن ياباشا هههههه إيه خفة الدم دي هههههه.

ضحك الجِنيرال أكثر وزاد اهتزاز كرشه فزاد عبد التواب من ضحكة المنافق وشاركهم مهيطل الضحك واستمر هذا الوضع لدقيقتين قبل أن يكفوا أخيرًا عن الضحك ليقول الجِنيرال:

-بس أنا مش حكومة يا شقيق، هيطا بس حب يهزر معاك أنا سواق مشروع.

سكت عبد التواب للحظة ثم عاد يضحك وهو يقول:

-مش ممكن ع الضحك ياباشا هاهاهاه سواق مشروع. هاهاها على أساس المشروع عربية وكده.

قال مهيطل: بابني الجِنيرال مش بيهرج هو فعلًا مش حكومة المشروع ده اللي هو الميكروباص بس بالإسكندراني، نسيت أوضحلك إن لكل قاعدة شواذ في عشاير من الجن الأزرق معلمين وتجار وبلطجية وتجار مخدرات كمان.

كف عبد التواب عن الضحك وسأل:

-يعني ده مين دلوقتي؟!

فرد هيطا بطريقته المسرحية المبتذلة: ده يبقى سديكى السدوك الجِنيرال أجدع جني أزرق ممكن تعرفه، وأكبر سواق مشروع فيكي يا عروس البحر المتوسط، وأحسن واحد يجبلك أحسن نوع حشيش مغربي في السوق.

قال عبد التواب في ذعر:

-تاجر مخدرات الله يخربيتكوا هنروح في داهية.

أسرع مهيطل يشرح لعبد التواب الأمر:

-ياعم اهدى على نفسك، بص أنا عارف إن الموضوع هيبان لك غريب، بس إحنا تجارة المخدرات في عالمنا مشروعة زيها زي القهوة بالظبط، وده لسببين أولهم إننا أصلًا مخلوقين من نار وطبيعة أجسامنا غير أجسامكم، ثانيهم إنها بتعلي المزاج بس وده خلى بعض المتدينين ينادوا بتحرمها لكن السلطة في عالم الجن مبتجرمهاش.

أخرج الجِنيرال من جيبه بعض أصابع الحشيش أحمر اللون وقال:

-بس الحشيش عندنا مش زي أي حشيش الصنف ده اسمه الأندرلوب علشان بياخدك من تحت لفووووووق.

قالها وانفجر في الضحك هو ومهيطل ثم ناول عبد التواب أحد الأصابع وقال:

-تحب تجرب؟

*****

بعد ربع ساعة:

رغم أن عبد التواب قد عارض في البداية، إلا أنه لم يستغرق الكثير من الوقت قبل أن يبدأ في لف السجائر معهم، وخلال دقائق وقبل أن يُنهى حتى سيجارته الأولى، كان قد وصل بعقله إلى الفضاء الخارجي فبدأ يضحك دون مبرر واضح:

-هاهاهاهاها والله يا جدعان إنتوا مصايب.

ضحك الجِنيرال وقال:

-طب استنى اسمع دي تعرف إيه الفرق بين المصيبة والكارثة؟

فسأل عبد التواب بفضول: إيه؟

-المصيبة إن جنية تحبك لكن الكارثة بقى إن جني هو اللي يحبك.

خرجت منهم جميعًا ضحكات متحشرجة عالية كأي مجموعة محترمة من الحشاشين. بعد دقيقة من الضحك الهستيري أخذ الجِنيرال نفسًا عميقًا من سيجارته ثم سأل:

-كنت هنسى أسألك يا شقيق، هو اسم الكريم إيه؟

أخذ مهيطل نفسًا عميقًا من سيجارته ثم أخرجه من أذنيه قبل أن يقول:

-اسمه عبد التواب عبد التواب الكافر بعيد عنك.

ضحك التباع للمرة السابعة عشر على التوالي وقال:

-وده اسمك ولا إفيه؟!

-لا ده أبويا.

-ربنا يغفرله ياعم.

-أمين يا معلم.

-أمين ولد أبو جليل ولا أمين ولد الطحاوي.

ثم انفجروا جميعًا في الضحك قبل أن يقول عبده:

-والله أنا مش عارف إيه المضحك في اللي إحنا بنضحك عليه ده بس البتاع ده بيخليني عايز أضحك على أي حاجة.(أخذ عبد التواب نفسًا قبل أن يستطرد): ألا صحيح ما تحكلنا شوية عن نفسك يا معلم كروان.

صحح الجِنيرال: جينيرال، جينيرال ياعم.

-مروان؟

-ما قلنا جينيرال يا عم ما تطيرش عود البخور اللي أنا بشربه ده من نافوخي، طب بس هسهلهالك الجِنيرال ده لقبي لكن زمان كان بيقولولي يا تباع.

-بتاع إزاي؟!(سأل عبد التواب في غباء وقد أعماه الدخان)

-أيووووووووه قولي يا حمادة، حلو حمادة؟ سهل حمادة؟

-ده حمادة خالص والله.

تدخل مهيطل في الحوار باقتراح:

-بقولك يا جينيرال، ما تحكيله حكاية اللقب ده قصة حبك الأسطورة إنت وهبة.

ضحك الجِنيرال الذي عرفنا أن اسمه حمادة ضحكة محشش أصيل، قبل أن يتنهد بعمق ويقول:

-ياااااااااااه هبة حبيبة ألبي، بص يا كافر أنا قلبي استريحلك علشان كده هحكيلك حكايتي مع حبيبتي هبة قصتى أنا وهبة، قصة فرتكت كل قصص الحب اللي تعرفها؛ روميو وجوليت، عنتر وعبلة، تيمور وشفيقة، وبكيزة وزغلول. كانت هي روبانزل لامؤخذة وأنا الواد حبيبها اللي بيستناها تحت البلكونة.

قال عبده في استمتاع ونشوة: مسم، يا سيدي، احكي يا جينيرال.

ضحك الجِنيرال حمادة بطريقة توحي لك أنه يتجشأ بينما يداعب شاربه الكث قبلَ أن يشرع في الحكي، ولوهلة أحس أنه يجلس أمام أسامة منير يستمع إلى برنامج أنا والجِنيرال وهواك.

*****

«من زمان وأنا كنت صغير، وفشرعنا بنات حلويين، اللي تجنن واللي تحير، واللي تعقل في المجانين»

قد يلخص لك هذا المقطع من المهرجان العظيم (الوسادة الخالية) طفولة الجِنيرال حمادة أو حمادة فقط حينها، منذ أن كان في الخامسة عشر تعرف على سيدات من مختلف ألوان وعشائر الجن، عاش مراهقته بالطول والعرض في مدينة الإسكندرية قبل أن يبدأ حياته المهنية كتباع على أحد

الميكروباصات(المشاريع)، تعلم القيادة ليكرمه الله بعدها بالعمل كسائق ميكروباص، لم يكن الميكروباص ملكه بل كان ملكًا لجنية تربي شياطين صغيرة أيتام، أكرمه الله بعدها بأن اشترى ميكروباص خاص به ثم اشترى الثاني والثالث وبدأ عمله في التوسع، فقرر أن يتوب إلى الله وأن يتزوج، تزوج من جنية زرقاء بارعة الحسن والجمال، لكن فيما بعد اكتشف التباع أن الله يعاقبه على مراهقته الماجنة بأن أرسل إليه زوجة تنتمي إلى شياطين العالم السفلي.

قاطع عبد التواب الحكاية متسائلًا:

-شيطانة من العالم السفلي إزاي؟، فرقت إيه يعني عن أي جنية بنت جنية؟

رد الجِنيرال: ماأنا جايلك في الكلام كانت بتضربلها بركانين ع الصبح فتعمل دماغ جحيم وتجي بليل لما أرجع من الشغل تطلع ميـ***ن أمي[1].

زعيق بقى وخناقات وصوتها بيبقى قد كده(فرد الجِنيرال ذراعيه في الهواء في محاولة لتجسيد حجم الصوت) وتطلعلي نار من بقها لدرجة إن العمارة اللي كنا ساكنين فيها الناس افتكروها مسكونة.

قاطعه عبد التواب متسائلًا: ألا إنت كنت ساكن فين يا معلم؟

أجاب الجِنيرال: كنت ساكن في أفخم مساكن الجن في مصر، في عمارة رشدي اللي فإسكندرية. المهم بس سبني أكمل الحكاية.

في أحد الأيام بينما كان الجِنيرال جالسًا داخل الميكروباص أو المشروع المخفي عن أعين البشر، رأها تتهادى على الكورنيش كحورية البحر، وأحبها من النظرة الأولى. هبة أجمل آدمية رأتها عينيه، دق قلبه حتى كاد يُفرتك الترنك الأزرق الذي يجعله فاتنًا، لتبدأ قصة حبهما في تلك اللحظة؛ تتبعها الجِنيرال حتى عرف مسكنها وكل شيء يمكن أن يعرفه عنها، قبل أن يقرر

---

(١) تم حجب جزء من الكلمة التي نعرفها جميعًا تحسبًا لوجود أطفال تقرأ هذا العمل، في الواقع اكتشفت الآن أن هذه الرواية لن تكون مناسبة للأطفال، ووجود أطفال معنا يعد كارثة(الكاتب)

أخذ خطوة مُتقدمة في علاقتهما، مقتديًا في سعيه نحو حبيبته بالأستاذ عادل إمام في فيلم الإنس والجن، لكن هنا ظهرت المشاكل.

قاطع عبد التواب الحكاية للمرة الثانية:

-لكن؟ هي فيها ولكن؟

فقال الجِنيرال: اكتشفت إنها متجوزة، بس قررت إني مش هستسلم وهطلع لها.

سأل عبده المسطول: هتقلع لها إزاي؟

أسرع الجِنيرال يُصحح له: هطلع لها في أحلامها يا بني آدم، واسكت وسبني أحكي.

*****

انتظر الجِنيرال إلى أن سافر زوجها، ثم حاول التواصل معها في أحلامها ليعترف لها بحبه، لكنها صدته وصفعته، فشعر بأبواب السعادة تُغلق في وجهه. فقرر أن يحرق كل شيء كما أحرقت هي قلبه بنيران حبها.

*****

قام الجِنيرال مُنفعلًا: ولعت نار.. نار في كل أوضتها، ولعت في الستاير وفي النجف وفي السرير وف..

أمسكه مهيطل محاولًا تهدئته وهو يقول: باااس بس بس، هدي نفسك يا عم مش مستهلة كل دة.

يهدأ الجِنيرال بالفعل ويعود لاستكمال الحكاية.

*****

حاصرت النار هبة فبدأت تصرخ مذعورة من هول ما يحيط بها، قبل أن تفاجئ بالتجسد البشري للجينيرال يخرج لها من بين النيران، ابتسم لها

وبمجرد أن قال:

-هبة حبيبة ألبي.

أغشي عليها من أثر الصدمة العصبية.

لكن الجِنيرال كان يتمتع بإرادة حديدية فظهر لها من جديد، لكن في هذا المرة لم تفقد وعيها ودار بينهما حديث قصير.

-إنت أيه؟ وعايز مني إيه؟(سألته فأجاب)

-أنا الغارقُ في أوهام حُبّكِ، أنا اللي كل يوم بتمرمغ في هواكي يا بت، أنا قربت أتجن بسبب حبك.

-هصرخ وألم عليك الناس.

لم يجد الجِنيرال بدًا من خطفها، فاحتضنها بقوة وانتقل بها آنيًا[1] إلى الميكروباص الخاص به، ليقود الجِنيرال ميكروباصه بجوار الكورنيش بينما تجلس حبيبته بجانبه، صرخت هبة كثيرًا لكن لا أحد يراها أو يسمعها، صرخت كثيرًا إلى أن تأكدت أن صراخها لا جدوى منه فبدأت تبكي، حين رأها الجِنيرال تبكي قرر أن يُعيدها إلى بيتها حتى تكف عن البكاء وقال لها:

-أنا عمري ما هئذيكي.

تكررت زيارات الجِنيرال لهبة والعجيب أنها في كل مرة كانت مقاومتها له تقل، فأدرك أنها بدأت تحبه أخيرًا، فبدأ في الخطوة الثانية من خطته حاول أن يقتل زوجها عدة مرات، فظهر له بأشكال مختلفة ليفزعه؛ مرة كقط في السيارة، ومرة أخرى ككلب مسعور، وبعد فترة، انهارت أعصابه بالفعل وفقد عقله. وبعد أن أصبح على بُعد خطوة من حب عمره، ظهرت مشكلته الكبرى.

*****

(١) الانتقال الآني: هو الإنتقال من مكان لمكان أخر في نفس اللحظة دون وضع المكان والمسافة في الاعتبار. #معلومات_من_الأخر_عن_العالم_الأخر مع الحاجة أم شريف

سكت التباع وبدا أنه على وشك البكاء وقال:

- مراتي عرفت بموضوع هبة ده وقررت تعمل معايا الدنيئة بنت الدنيئة (سكت مجددًا ثم شرع يبكي وهو يستطرد) لبست حبيبتى هبة وخلتها ترمي نفسها في النيل حاولت أمنعها بس معرفتش، كانت أقوي مني بنت الصارمة.

أظهر عبد التواب تعاطفه مع الجِنيرال قائلًا:

- لا حول ولا قوة إلا بالله، وإنت عملت إيه؟

قال: طلقتها وقررت إني أعيش حياتي كلها أدور على قرينة هبة، لحد ما بعد فترة وفي ليلة من الليالي الصبح بليل كده.

- استني ياعم، إيه الصبح بليل ده.

- عارف لما الشمس بتلف عند مزلقان عين شمس كده؟

لم يفهم عبده شيء، فطلب منه أن يتابع سرد حكايته دون تفاصيل غير مهمة، فتابع.

*****

في إحدى الليالي بينما كان الجِنيرال يجلس وحيدًا في موقف الميكروباص، اصطدم بهبة واقفة أمامه ترتدي فستان من اللونين الأحمر والأخضر، وتقول له:

-وحشتني.

رد غير مصدق:

-وإنتي كمان وحشتيني، عاملة إيه يا حبيبة ألبي.

-مش شغلني غير بعدك عني، أنا لقيت طريقة نقدر بيها نكون مع بعض تاني في ساحر بيمارس نوع من الأندر ماجيك يقدر يساعدنا في إننا نلاقي

حل علشان نبقى مع بعض للأبد، هقولك على الطريقة اللي تقدر توصل بيها للساحر ده.

بمجرد أن عرف الجِنيرال عنوان الساحر لم ينتظر أكثر، فأخذ ميكروباصه وأسرع نحو عنوان هذا الساحر.اقتحم خلوته رافعًا عليه (الكازلك) طالبًا منه أن يأتي له بحل في مشكلته بأسرع وقت. كان رجلًا بشع الوجه مهلهل الملابس، ذا ذقن كثيفة تُشبه المقشة، حاول الساحر أن يُقاوم الجِنيرال مُستعينًا بخادم له من الجن الأزرق، لكن بمجرد أن حضر الجني ورأى الجِنيرال، تهللت أساريره واحتضن الجِنيرال.

الخادم : ليك شوقة يابو الصحاب عامل إيه؟

الجِنيرال: أنا بخير ياسطى الحمد لله، إنت بتعمل إيه هنا.

الخادم: شغال مع الراجل اللي قاعد قدامك ده، الدنيا مزنقة والشغل قليل نعمل إيه.

سأل الجِنيرال: إنت لوحدك هنا ولا إيه.

-لأ، معايا (بقلظ) ابن (بلاليطة) بس واخد أجازة مرضية بعيد عنك.

-ألف سلامة عليه، طب بقولك أنا عايز الحاج اللي مشغلك ده في مصلحة.

-واحد يا كبير اعتبره بتاعك خلص معاه ونتقابل في المكان بتاعنا في خالد ابن الوليد نشرب شاي.. قل.

-حبيبي.

-باع الخادم سيده وتركه مع الجِنيرال ورحل، فبدأ الساحر يرتعش خوفًا وطلب من الجِنيرال أن يهدأ ليستطيع أن يعرف منه المشكلة أولًا حتى يأتي له بحلها.

حكى الجِنيرال للساحر عن هبة وسعيه لأن يرتبط بقرينها، فبدأ الساحر بممارسة طقوس الأندر ماجيك الخاصة به ليستحضر قرين هبة، نادى الساحر

اسمها:

-ياهبة يا حلوة يا غُريبة.

انزعج الجِنيرال وكاد يضرب الساحر:

-أنت بتعاكسها ولا بتحضرها.

-ياعم دي التعويذة والله، اتقل عليا بس.

هدأ الجينرال وترك الساحر يكمل عمله:

-يا هبة عايزينك قريبة.

كرر الساحر النداء عدة مرات إلى أن حضرت هبة أخيرًا بصوتها.

((أنا هنا، وسمعاكوا لكن مش قادرة أتجسد قدامكم))

سأل الجِنيرال الساحر عن الحل فقال الأخير:

-هي في عالم تاني مختلف عن عالمي وعالمك، والحل علشان تتجسد في العالم بتاعنا وتبقوا مع بعض إنها ترتبط بحاجة، وسيط يعني.

وافق الجِنيرال على اقتراح الساحر، وكان الوسيط المقترح حينها هو ميكروباص الجِنيرال، وبالفعل تم عمل الطقوس اللازمة لربط قرين هبة بجسد الميكروباص.

بمجرد أن انتهت الطقوس دار محرك الميكروباص وحده، وبدأت مصابيحه تضيء وتنطفئ، قبل أن يخرج منه صوت هبة الحاني يقول:

-أنا هنا ياحبيبي.

-فرح الجِنيرال كثيرًا وقَبّل الساحر من فمه عنوة، قبل أن يأخذ هبة ويسافر بها إلى القاهرة، ليبتعد عن ذكريات ماضيهما الأليم في الأسكندرية.

*****

أنهى الجِنيرال حكايته ثم أخذ نفسًا عميقًا قبل أن يقول:

-ومن يوميها وإحنا مبنفترقش أبدًا

تدخل مهيطل:

-لكن حكاية الجِنيرال وهبة سمعت في عالم الجن كله، حكاية الجِنيرال بس مش جينرالَ الحرب، لأ، ده جينيرال الحب، قصة بتنافس في قوتها قصة سيفيروس سناب وليلى أم هاري بوتر حتى شوف.

نفخ التباع دخان سيجارته في الهواء، فبدأ الدخان يتحور ويتشكل ليكون كلمة إنجليزية في الهواء.

(ALWES)

أخيرًا تكلم عبد التواب:

-أنا مش مصدق إني قاعد بسمع قصة حب ارتباط جني بميكروباص لأ الصنف ده عالي فعلًا، بس ليه محضرتهاش على موتوسيكل على أساس مَكنة وكده؟

-أيوة وأجيب فلوس أكل عيشي والبنزين اللي بفولهولها منين؟

-إنت صح، إنما هي فين صحيح الميكروباص؟

سأله الجِنيرال: هبة؟!

-اللي تشوفه.

صفر الجِنيرال فسمع عبده صوت محرك يدور بالقرب منهم، والصوت يقترب أكثر قبلَ أن يقتحم المخزن عابرًا من خلال الحائط ميكروباص أحمر تزينة خطوط خضراء ومثبت في مقدمته لوحة كتب عليها]هـ ب ة/ 010[

رمى الجِنيرال سيجارة الحشيش التي كانت في يده وفتح ذراعيه قائلًا: أهيه هبة حبيبة ألبي.

سقطت سيجارة الحشيش فوق قطعة قماش كانت غارقة في البنزين، فاشتعلت القماشة وبدأت النيران تنتشر في المخزن المليء بمواد قابلة للاشتعال، وقبل أن يدرك أيًا منهم ما حصل، كان النيران قد أحاطت بهم من كل ركن.

اتسعت عينا عبد التواب ذعرًا وراح يدور بمقلتيه في المكان باحثًا عن أي مخرج، رأى الجِنيرال وقد ركب ميكروباصه الحبيب ليهرب من المكان، بينما كان مهيطل يشعر بالدوار من كثرة ما شرب من حشيش.

ناداه عبد التواب وحاول أن يفيقه لكن بلا فائدة، حين رأى الجِنيرال الوضع عاد ليساعد عبد التواب في حمل مهيطل، هنا انتبه عبد التواب لشيء:

-إحنا المفروض ننقذ التوكتوك برضو تقريبًا كده والله أعلم، لأن اللي فهمته إن لو التوكتوك حصله حاجة مهيطل هيتئذي.

قال الجِنيرال:

-ده صعب، والعمل؟!

هنا طرقت الفكرة رأس عبده، لابد من حل واحد إعادة فتح البوابة التي فتحها مهيطل باستخدام التوكتوك من قبل. سأل عبده الجِنيرال:

-بقولك إيه، تعرف حاجة عن فتح الاخرام الزمنية اللي بيفتحها صاحبك دي؟

رد الجِنيرال بغباء واضح:

-يعني إيه؟!

-لا أنت شيل معايا مهيطل نحطه جوه التوكتوك وأنا هحاول أتصرف.

بالفعل وضعوا جسد مهيطل فوق أريكة التوكتوك الخلفية، وبدأ صاحبنا مهيطل يلعب في أزرار التوكتوك محاولًا الوصول لأي شيء، النيران تزداد قوة وإحاطة بهم، وعبد التواب لا يتوقف عن المحاولة واللعب بالأزرار، إلى أن بدأ شيء ما في الحصول، اهتز التوكتوك بقوة، ليختفي مهيطل فجأة من

الأريكة الخلفية! بدأ الدخان يخرج منه بكثافة قبل يظهر أمامه المفر. فُتحة في جدار الزمن يخرج اللهب الملون ولا علم لهم إلى أي جحيم قد تقودهم، صاح عبد التواب قائلا للجينيرال:

- تعالى معايا تقريبًا هيطا رجع لتانك التوكتوك.

-هنروح على فين؟

-معرفش بس أكيد مكان أحسن من هنا.

دخل عبد التواب إلى الفُتحة بواسطة تكاتك ومن خلفهما هبة والجِنيرال، انغلقت الفُتحة خلفهم ليواجهوا المجهول مُتسلحين بالا شيء.

*****

-خلصت كده؟!

سألت أم شريف بينما ألعق ما تبقى في صينية القرع عسل بإصبعي من فرط لذتها فسألتني: الصينية؟

-لأ القصة.

-بالعكس دي بدأت.

-طب هما راحوا فين؟

تنهدت وقالت: الساعة 9 بليل إلحق روح وتعالى يوم تاني من بدري، علشان الحكاية الجاية طويلة شويتين.

غادرت ليلتها واعدًا نفسي أن أعود في أقرب فرصة.

(6)

1 - أرض الزَنابوة

طرقت الباب فأتاني صوت أم شريف من الداخل يقول: أدخل يا ولا كُنت مستنياك.

دخلت مُتنحنحًا وأنا أقول: إحم، السلام عليكم ياأم شريف.

-عليكم السلام إزيك يا حموكشة؟

قلت متضايقًا: ياحاجة حموكشة دي بتديني شعور مش لطيف.

-طب أقولك إيه يا حموكشة؟(سألتني)

-بصي هو أنا بدوَن حكايات، فالناس تعرفني بالمُدوَّن.(أجبت)

-مدود!

-المدود ده المشمش يا حاجة، لكن أنا بني آدم بقولك مُدوّن.

ابتسمت قائلة: قشطة ياأبو المُدونين، هات السبرتاية وتعالى أقعد أكملك الحكاية.

تمتمت: هي وصلت لأبو المُدونين.

قررت أن أحفظ ما تبقى لي من كرامة وذهبت لأحضر السبرتاية لأصنع لي ولها فنجان القهوة الذي يُحفزها على الحكي. ناولتها فنجان القهوة، فنظرت له في امتعاض قائلة:

-هما دول اللي هانوا عليك؟! المرة الجاية اعملي القهوة في مج.

-اللي إنتي عايزاه يا حاجة أنا آسف، ممكن نحكي بقى؟

أخذت نفسًا عميقًا وبدأت تحكي..

*****

بعد أن دخل عبد التواب مع التوكتوك والجنيرال مع هبة إلى داخل الممر الزمني، داروا وتخبطوا داخل هذا الممر المشتعل بألسنة اللهب الملونة بينما يصرخ عبد التواب مش شدة الذعر قبل أن تُفتح أمام عينيه بوابة ضخمة! أدرك عبد التواب أن هذا هو مخرجهم من الممر، فحاول أن يوجه التوكتوك ناحية الفُتحة وفعل الجينيرل المثل، لكن بمجرد أن اقتربوا من الفُتحة انقسمت الفتحة الكبيرة إلى فتحتين صغيرتين، وانجرف كل فريق إلى إحدى الفتحتين، حمادة الجنيرال وهبة الميكروباص إلى فتحة، بينما خرج عبد التواب وتكاتك من الفُتحة الأخرى. وجد عبده نفسه مع تكاتك يقفان وسط طريق أسفلتي يتوسط أراضي زراعية ومروج كانت حية وخضراء يومًا ما، هدوء تام ومقبض، وكأنهما في صحراء لم يخط فيه بشر منذ بدء الخليقة! نزل عبد التواب من فوق كرسي القيادة بالتوكتوك ووقف في العراء يدور بعينيه في ما حوله عسى أن يجد أثرًا لبشر، بينما يسأل نفسه:

-ياترى إنت فين يا كلب البحر؟

أحس فجأة بشخص ما يقف خلفه ويهمس: أنا وراك يا ضُغف.

التف عبده بسرعة ليجد مهيطل واقف خلفه: مهيطل! حمد الله على سلامتك يا معلم، ده إحنا كنا هنضيع كلنا بس تكاتك لحقنا في آخر لحظة.

قال هيطا: تكاتك مين يا أهبل، لولا ما لحقت نفسي ودخلت جوه تانك التوكتوك وفتحت الممر مكناش طلعنا من هناك، ع العموم تقريبًا إحنا وقعنا في المكان ده بالغلط.

-طب ما نخرج من هنا.

-مينفعش، لازم نلاقي الجنيرال الأول علشان نخده معانا وإلا هيفضل هنا على طول هتبقى حركة واطية أوي. هو نزل في نفس الزمان بس في مكان تاني، أنا ممكن أخمن إحنا نزلنا فين، هو تقريبًا والله أعلم إحنا في كولالمبور.

اقترح عبدالتواب: طب ما نمشي بالتوكتوك شوية يمكن نعرف إحنا فين بالظبط.

قادوا التوكتوك فوق الطريق الذي اتضح لهم أنه كبري يُشبه في شكله «الدائري» لفترة قبل أن تلتقط آذانهما صوت أغنية شعبية يأتي من جهة بنزينة على جانب الطريق كُتب عليها «التعاون»!

-أنا كده أتأكد إننا في مصر(قالها مهيطل وهو مستمر في القيادة)

كُلما اقتربوا من البنزينة أكثر وضح الصوت أكثر فأكثر.

(ما تولع وتحشش، ولا إحنا فبنزينة، ما تولع وتحشش ولا إحنا فبنزينة.. جوجوجوجوجوجوجوجوجو..جوجوجوجو..)

قال عبده متعجبًا: إيه يا عم ده؟! الممر ده بيطلع على شبرا ولا إيه؟!

اقترب الاثنان على قدميهما أكثر في حذر قبل أن يقترح عبده على مهيطل: بقولك ادخل شوف كده لو حد جوّه تسأله إحنا فين.

وافق مهيطل على الاقتراح قبل أن يدلف بالفعل إلى داخل البنزينة، وقف عبد التواب بجوار تكاتك في انتظار خروج مهيطل، مرت دقيقتان قبل أن يلاحظ عبده أن صوت الأغنية اختفى ليحل الصمت محله، ثم يحل محل الصمت صوت صرخات مهيطل القادمة من داخل البنزينة يرافقها صوت زئير عجيب! فجأة خرج مهيطل من البنزينة يجري وكأن الجحيم يلاحقه، الجاكت الجلد خاصته ممزق والكاب مختلف الألوان على رأسه غير موجود! خرج خلف مهيطل واحد.. اثنان.. ثلاثة .. سبعة من المشردين أو هكذا بدوا لعبد التواب في الوهلة الأولى، كانوا يترنحون كالمساطيل فاغري الفم وعلامات البلاهة تملأ وجوههم، كلما اقتربوا أكثر اتضحت أسنانهم النخرة وجلودهم الساقطة ولحومهم المتآكلة أكثر فأكثر، فأيقن عبد التواب أنه من المستحيل أن يكون هؤلاء من الأحياء. قفز مهيطل المذعور إلى داخل التوكتوك بينما وقف عبد التواب ينظر إليهم مندهشًا لا يبدي أي حركة، فسحبه مهيطل إلى داخل التوكتوك وفروا بعيدًا عن هؤلاء المسوخ. قاد مهيطل التوكتوك إلى مسافة بعيدة كفاية قبل أن يتوقف ليلتقط أنفاسه، فاق عبد التواب

من صدمته وبدأ يولول كالنساء: يا نهار أسود، يا نهار أسود، أنا كان مالي أنا بالمواضيع دي، إنت وديتنا فين يا وش المصايب إنت وإيه دول؟

رد مهيطل بهدوء: دول زي ماإنت شايف مبتتفرجش علىMBC2 ولا إيه؟!

رد عبده: أحيانًا عمتي أم شريف بتحب تتفرج على أفلام الرعب بليل.

-يبقى أكيد شفت فيلم زومبي لاند.

-مبحفظش أسماء ياعم بتاع إيه زونبة لاند ده.

-زومبي يا بني آدم، الموتى الأحياء اللي بيجروا ورا الناس ويكلوهم.

-تقصد تقول..!

-أيوة دول زومبي وواضح إنهم مسيطرين على كل حاجة في الأرض دي.

اتسعت عيني عبد التواب وقال في ذعر:

-يعني إحنا دلوقتي في أرض الزَنابوة!

-زَنابوة! ما علينا أنا كمهيطل شايف إن الأحسن دلوقتي إننا نفضل راكبين التوكتوك وندور على الجِنيرال، عسى إننا نلاقيه.

تحركوا بالتوكتوك من جديد فوق الكبري الممتد إلى ما لا نهاية أمامهم محاولين تجنب أي زومبي يقابلونه في طريقهم، صاح عبد التواب فجأة وهو يتأمل الطريق: عرفت.. عرفت إحنا فين.

أفزع صياح عبده مهيطل فأوقف التوكتوك قبل أن يقول بغضب:

-هو إنت مينفعش تعرف إحنا فين من غير ما تخضني؟

-استنى بس، تقريبًا إحنا على الطريق الدائري عند مؤسسة الزكاة كده لو تعرفها، أنا اشتغلت في تشطيب شقة هنا قبل كده.

بينما يتكلم عبده سمع الاثنان صوت غريب! صوت أشبه بالزئير، اتسعت

عيني مهيطل حين رأى الزومبي الذي يعترض طريق التوكتوك، يتميز بكرش كبير ووجه تساقط كل شيء فيه عدا العينين النهمتين، كان من الممكن أن ينطلقوا بالتوكتوك بسرعة مُزيحين هذا الشيء من طريقهما لكن الخوف أوقف عقليهما عن التفكير، هبط مهيطل من التوكتوك ووقف أمام الزومبي بشجاعة ثم مد يده نحوه قائلًا:

-أهلًا زومبي باشا، أهلًا زومبي بيه، أنت مش من هنا بردو ولا إيه نظامك؟

تحولت نظرات الشر والنهم في عيون الزومبي إلى نظرات تعجب، فتابع مهيطل محولته الدبلوماسية:

-بقولك يا باشا أنا محتاجك في خدمة لأخوك الجني، أنا ليا واحد صاحبي من عندكم هنا زومبي محترم ميتخيرش عنك، خلف زومبي صغير، فَ عندكم زي ماإنت عارف أي عيل جديد بيتولد لازم تزمبؤوه، فراحوا بالواد علشان يزمبؤه فمارضيوش يزمبؤوا الزومبي الصغير، أتاري بقى الزومبي الكبير بتاعكم خلصت منه الزمبئة اللي بيحطها في البتاعة اللي بيزمبؤوا بيها الزومبي الصغير، و طبعًا لو ماتزمبئش دي حاجه بتبقى وحشه عندكم أوي. فاهمني إنت طبعًا، المهم إحنا جبنا الزمبئة وحطيناها في الزمبؤ وروحنا عشان نزنبئه لقينا الزنبؤ مش شغال، فياريت لو تعرف حد من المسئولين عندكم تكلمهولنا يشوفلنا الزمبئة عشان الواد داخل في سنتين ولسه ما إتزنبئش لحد دلوقتي.

وقف الزومبي فاغر الفم لا يفهم أي شيء مما قيل، فاستغل مهيطل الفرصة ليصعد إلى التوكتوك ويقوده مبتعدًا، لكن بمجرد أن تحرك بالتوكتوك استيقظ الزومبي من حالة التجمد العقلي التي أصابته وبدأ يزأر بصوت عالٍ، اكتشف مهيطل بعدها بلحظات أنه ليس مجرد زئير، بل نداء فقد خرج الزنابوة كما سماهم عبد التواب من كل حدب وصوب وحاصروهم فداس مهيطل فرامل التوكتوك خوفًا من أن يصطدم بهذا العدد الكبير منهم، ارتسم الرعب على ملامح وجهيّ مهيطل وعبد التواب فقال الأخير: إنت مش عفريت يابني إنت ولا إنت بتشتغلني. فين القوة الخارقة اللي بتقعد تهرى وتقول إنها عندك

يارب يا مهيطل أشوفك زاي ماأنا عايز.

قال مهيطل: أيوة فعلًا أنا عفريت، يعني أقدر أختفي وأسيبك ليهم.

قال عبد التواب بذعر: متبقاش واطي ياسطى متنساش إن التوكتوك هيفضل موجود وهيتفشخ وهما بيتخانقوا عليا.

-كويس إنك فكرتني بالمعلومة دي كمان، أنا بنسى كل حاجة لما بخاف، بس لازم يبقى فيه حل أكيد في حل.

قالها مهيطل في عصبية بينما يضرب بقبضته فوق لوحة العدادات، فبدأ تكاتك يهتز بهما فجأة و وبدأ هيكله الخارجي يضيء!

-إنت زعلت ولا إيه يا تكاتك، اهدى يا صاحبي.

بدأ الأسفلت أسفل عجلات التوكتوك يتشقق وظهرت حول تكاتك حلقة من نار راحت تتسع وكأنها ناتجة عن انفجار لتجرف حشد الزومبي من حولهم كأمواج البحر، كان الأمر أشبه بانفجار جحيمي. اتسعت عيني مهيطل من الدهشة وأسرع يمسك ذراعي التوكتوك مستغلا ما يحصل للهروب، خرج من مصباح تكاتك الأمامي شعاع يُشبه الليزر أزاح ما تبقى من أجساد محترقة تعيق تقدمهم، وقاد مهيطل التوكتوك بعيدًا قدر المستطاع والدهشة لا تزال مُسيطرة عليه، سأل عبد التواب والحماس يغلب على نبرة صوته:

-لما إنت تقدر بالتوكتوك تعمل كل ده، معملتش كده ليه من الأول، ليه؟!

قال مهيطل دون أن يلتفت إلى عبد التواب:

-صدقني أنا مكنتش أعرف إن تكاتك يقدر يعمل ده، ولا إن عنده القوة دي، أنا حتى معرفش لو اتحطيت في الموقف ده تاني أكرر اللي حصل ده.

نزلوا من الدائري وراحوا يبحثون عن أي بشر يمكنهم مساعدتهم عسى أن يتعثروا في طريقهم بالجنيرال وصاحبته، لكنهم لم يعثروا على أي أثر لأي حياة، فجأة تعطل بهم التوكتوك أمام أحد البيوت الكبيرة المهجورة بمنطقة

المرج، فهبط منه مهيطل وقال وهو ينظر للدخان المتصاعد منه:

-إحنا كده رحلتنا انتهت والحمد لله، مقدمناش حل دلوقتي غير إننا ندور في البيت ده والبيوت اللي حواليه عن أكل ومكان للنوم وعدة علشان نصلح تكاتك.

صاح عبده بفزع:

- لأ، بيوت تاني لأ، آخر مرة وقفنا فيها قدام بيت طلع صاحبه مصاص دماء وكان عايز ياكلني.

-أظبط يابني، هو أنا جايبك شقة مفروشة، إحنا هندخل نشوف بس حد جوه يقدر يساعدنا، وبعدين متخفش مش مقلب فيك زي المرة اللي فاتت، المرة دي إحنا جينا بالغلط فعلًا.

استغرق الأمر خمس دقائق لإقناع عبد التواب بالدخول قبل أن يستخدم هيطا قدراته الجهنمية في اختراق الأبواب ليفتح لعبد التواب الباب، بمجرد أن دخلا جذب انتباههما اتساع البيت وتشطيبه السوبر لوكس وفرشه الفخم، هذا بيت من بيوت الباشاوات الذين عاشوا في المرج في العصر الملكي، جذب انتباههما أيضًا برواز كبير يحمل صورة لرجل أصلع يرتدي بذلة سوداء، ويرفع رأسه في شموخ، لم يحتاج الأمر إلى الكثير من الفكاكة ليدركوا أنه صاحب هذا البيت.

قال مهيطل وهو يتأمل الصورة:

-الراجل ده باينه عبيط.

فرد عبد التواب: أه فعلًا، لا وفيه شبه من عادل شَكَل[1].

-تصدق فعلًا شبهه جدًا.

---

(١) واحد من مشاهير السوشيال ميديا الذين يقدمون محتوى غير مهم وغير مفهوم، ويتميز بصلعته البراقة وملامحه المريبة (الكاتب)

بينما كانا يتضاحكان ويسخران من صاحب الصورة شعرا بيدين ثقيلتين تنزلان على كتفيهما، فدار الاثنان وصاحا في وجه صاحب اليد الذي كانت ملامحه تفضح كونه زومبي كما هو متوقع، راحوا يجرون في أنحاء المنزل باحثين عن أي مخرج لكن دون فائدة، فكر مهيطل أن يهرب عبر الباب لكنه لم يُرد أن يترك عبده خلفه، اقترب منهم الزومبي الذي بدا مختلفًا بعض الشيء عن أقرانه فقال عبده مهددًا: خد بالك الواد الأصفر ده عفريت وممكن يلبسك.

ابتسم الزومبي وقال وهو يمسح وجهه: متخافوش أنا مش زومبي، أنا بني آدم عادي وده ميكاج علشان التمويه، أنا صاحب البيت ده والصورة دي واسمي مكرم زمباوي.

فقال مهيطل مُلطفًا حدة الموقف: يعني أقرع وزمباوي!

ظهر الامتعاض على ملامح الرجل وقال: إنت هتهزر معايا يابني آدم برأس كلب إنت؟

-معلش يا حاج الألشة بتحكم.

-شكلك مصاب بالفيروس، أكيد لونك ده عرض من أعراضه.

-لأ فيروس إيه ياباشا أنا أمي مدياني كل التطعيمات، دي خلقة ربنا.

-اللهم لا اعتراض، ع العموم أنا مسامحك لأني بقالي زمن مشفتش بني آدمين طبيعيين زيي أنا منش مصدق نفسي. ألا صحيح أنتوا جايين منين؟ أكيد من أستراليا أو أمريكا، أنا سمعت إن الفيروس لسه موصلهمش، ع العموم اتفضلوا اقعدوا واحكولي إنتوا إيه نظامكم.

-أنا معايا خط بزنس.

قالها عبد التواب ابن أخي الظريف ابن الظريف فأسرع مهيطل ينغزه ليصمت، ثم جلس الاثنان يعرفان نفسيهما ويحكيان حكايتهما كلها حتى مقابلتهم له.

بمجرد أن انتهوا من الحكي قال العم مكرم زمباوي الذي كان متسع العينين من شدة غرابة الحكاية: حكاية غريبة أوي، بس في الزمن ده بقى عندي استعداد أصدق أي حاجة ده بعيدًا عن كوني مش مقتنع بكونك عفريت يا أستاذ مهيطل.

فرد مهيطل: وبالنسبة لإننا جايين من زمن تاني عادي؟! مش مهم تصدق بقدر ما مهم إننا نلاقي صاحبنا الجنيرال وصاحبته هبة ونرجع زمننا (قطع عبده كلام هيطا): لا في حاجة كمان مهمة، إيه حكاية الفيروس اللي كونت بتحكي عنه من شوية، وإيه الزمن ده بالظبط؟! وإمتى ولاد الزنابوة دول ولامؤخذة ظهروا؟

نظر زمباوي إلى السقف قائلًا:

-ياااااه، دي حكاية طويلة أوي عندكم استعداد تسمعوها.

قال مهيطل ساخرًا:

-للأسف عندي إنترفيو شغل كمان نص ساعة مش هلحق (ثم انفعل فجأة) ما تخلص ياعم الحاج إنت هتمثل أنا والواد الغلبان ده أكيد مش ورانا الوزارة يعني.

فقال زمباوي: يبقى نعمل حاجة نشربها قبل ما نحكي تشرب حاجة معينة يا أستاذ عفريت.

-ياجدعان والمصحف ما عفريت أنا جني (انفعل مهيطل قليلًا)

-طب تشرب إيه يا جناب الجني؟

-زحلب لو أمكن(رد مهيطل بهدوء)

رفع زمباوي حاجة وقال: لو تقصد سحلب فمعنديش للأسف، هعملنا كلنا شاي وخلاص.

انهمك زمباوي يعد ثلاث أكواب من الشاي، قبل أن يشرع في الحكي.

«في النصف الثاني من القرن الواحد والعشرين ومع تأزم ظروف الحياة الاجتماعية والاقتصادية حول العالم ظهر نوع جديد من الحشيش، أفضل من أي نوع ممكن تكون سمعت عنه في حياتك كان اسمه «زومبلاتروكس» والمصريين اختصروا اسمه لـ» الزومبة» كان الإقبال على النوع ده شديد وخصوصًا من دول العالم التالت زي مصر؛ نظرًا للظروف الصعبة جدًا اللي وصلها الشعب في الفترة دي، نسبة البطالة 99%، نسبة الفساد 99%، نسبة نجاح الرئيس في الانتخابات 99%، النيل شبه جف والأغنياء هربوا بعيد عن القاهرة، وبدأنا نسمع عن حوادث لبشر بتاكل بشر من كتر الجوع، وعلشان الأغنياء والسلطة يحموا نفسهم من أي ثورات مفاجأة بدأوا يخدروا الشعب وكان الزومبلاتريكس أقوى نوع ممكن ينفذ المهمة دي، مخدر يهدي الشعب ويخلص عليهم واحد واحد، بدأ ضخ المخدر ده جوه البلد بسعر ينافس سعر الملح، بعد كده بدأ يبقى ببلاش تقريبًا الناس كلها كانت بتتعاطاه، الكبير والصغير الراجل والست وهنا بدأت الأعراض الجانبية للمخدر ده تظهر في العالم كله، المخدر ده مش بيموت بس بيحول اللي بيتعاطاه لمسخ ماشي مسطول وبيطوح وجتتة الدخان واكلها، وعينه حمراء، وماشي يعض في خلق الله وانتقل المرض بسرعة ما بين الناس واتطور، بيتنقل بالعض، وبالخدش، واتقال إنه كمان بيتنقلك لو حد منهم تف في وشك، الفيروس بدأ يتطور ويتنقل بألف طريقة وانتشر في العالم القديم كله، والأغنياء اللي كانوا خايفين من ثورة الفقراء ثار عليهم زومبي محملين بفيروس بيخليهم مسوخ. القارات البعيدة زي أمريكا وأستراليا وكمان اليابان صنعوا وسايل حماية تفصلهم عن العالم كله وعن الفيروس، العالم كله اتغير في وقت بسيط. أنا بسمي المرحلة دي بمرحلة الزومبة الكبرى في تاريخ البشرية تيمنًا بماركة الحشيش، أنا بقالي عشر سنين مستخبي هنا مستني الفرصة اللي أقدر أهرب بيها من هنا كل أملي في الحياة إن ابني اللي عايش في أستراليا يبقى لسه عايش وفاكر رقمي وييجي ياخدني من المكان ده، أنا عايش على أمل إن موبايلي يرن في يوم من الأيام بس لو كلامكم ده حقيقي يبقى فرجت ده إنتوا تبقوا جيتولي من السماء»

أنهى مكرم زمباوي حكايته فعاد مهيطل بظهره إلى الجدار وتنهد.

- ياااااااا، بقى أنت عايش في أرض كلها زومبي وزعلان إني بقولك إني جني، بقولك إيه؟ عندك أكل في العمارة اللي إنت عايش فيها دي يا حاج؟

سارت الأمور بشكل طبيعي خلال اليومين اللذين قضاهما مهيطل وعبد التواب برفقة العم مكرم زمباوي في بيته، جمع بينهما وبين زمباوي العيش والملح وهنا لا أقولها مجازًا فزمباوي لا يملك سوى العيش والملح بالفعل، واتفق الاثنان مع زمباوي على أن يرافقاه بعيدًا عن هذه الأرض بمجرد أن ينتهيا من تصليح التوكتوك. لكن في اليوم الذي انتهى فيه الاثنان من تصليح التوكتوك، وبينما كان الثلاثة يحتسون الشاي سمعوا صوت كلاكسات تكاتك في الخارج!

هرع مهيطل إلى الخارج يستطلع أخبار التوكتوك وتبعه عبد التواب فوجدا التوكتوك محاصر بحزمة من الزومبي يحاولون تكسيره، شعر مهيطل بالخوف من ما قد يحصل له إذا ما تأذى التوكتوك فاقترح على عبد التواب: ما تيجي تصفر يمكن نجدب انتباههم فيبعدوا عنه.

رد عبده: يا عم ماإنت عفريت، نفسي أشوفلك أي موقف مشرف قبل ما أموت.

-يابني أنا مش عفريت، أنا جني هو أنا لو عفريت كان ده بقى حالي، دول حاجة تانية.

-إنت لسه هترغي شوف حل.

-طب بص دي.

قالها مهيطل وطرق بإصبعيه الإبهام والوسطى فأصبح التوكتوك غير مرئي، تعجبت المسوخ البشرية المترنحة من هذا الاختفاء لكنهم انجذبوا في نفس اللحظة إلى صوت الطرقعة وغير بعضهم مساره ليفتك بمهيطل وعبد التواب.

جرى الاثنان إلى داخل البيت وأغلقوا الأبواب والشبابيك، وتأكدوا أنه ما من منفذ لتلك المسوخ البشرية، قال زمباوي:

-متخفوش، مستحيل يدخلوا عددهم قليل وعمرهم ما عرفوا يخترقوا البيت.

ألقى مهيطل نظرة من نظراته العفريتية إلى الخارج عبر الجدار ليكتشف أن أعداد هذه المسوخ يزداد، أصبح هناك ما يقرب من زومبمئات زومبي في الخارج، وأدرك مهيطل أنهم في مأزق.

-المرة دي مختلفة، واضح إننا استفزناهم وجذبنا انتباههم زيادة عن اللزوم.

ظهر الرعب فوق ملامح عبد التواب وسأل في ذعر: وهنعمل إيه دلوقتي؟

قال زمباوي: كنت متوقع إن اليوم ده هيجي، علشان كده جهزت نفسي.

جرى نحو إحدى الغرف وخرج منها مُحملًا ببندقيتين ومسدس، ناول كلًا من مهيطل وعبد التواب بندقية، ثم شد أجزاء المسدس استعدادًا للمعركة:

-كل واحد يدافع عن نفسه أول ما يقتحموا البيت دوروا فيهم الضرب.

بدأت الشبابيك والأبواب تتحطم من وطئة ضربات حشد الزومبي عليها، ثم بدأوا يتسللون الواحد تلو الآخر إلى داخل البيت، وقف أبطالنا الثلاثة مولين ظهورهم بعضهم لبعض، وبدأت الحرب.

*****

-ها؟.. وبعدين؟

سألت أم شريف فأجابت:

-لأ الحكاية لسه مطولة معانا عايزني أكملك اعملنا قهوة بس في المج الكبير متستخسرش.

-اللي بتعمليه ده جريمة وربنا في حق البن في حد يشرب القهوة في مج؟!

ردت بنبرة تحمل الكثير من التهديد:

-آه أنا، وخلص علشان ألحق أحكيلك قبل ما تدق تسعة وأروحك.

-حاضر(ثم خفضت صوتي وتمتمت):ربنا ع المفتري.

(6)

2 - حرب الزَنابوة

أبواب البيت وشبابيكه مُهشمة، عم زمباوي ومهيطل وعبد التواب يتوسطون البيت ممسكين أسلحتهم ويحمون ظهور بعضهم البعض، شرع مهيطل وزمباوي في إطلاق النار بينما ظل عبد التواب واقف مشلول الحركة.

سأله مهيطل بينما يقوم بحشو بندقيته بالرصاص: إنت واقف بتعمل إيه؟! اضرب معانا.

قال عبد التواب وهو يرتعش: مقدرش أنا عمري ما مسكت سلاح، ولا دبحت فرخة.

صاح مهيطل: لَوْش اضرب وخلاص المهم متقفش كده.

قال ابن أخي المسكين: دول بني آدمين زينا، ممكن تكون أشكالهم مخيفة لكنهم في النهاية روح.

صرخ مهيطل وهو يصوب بندقيته نحو أقرب زومبي منه:

-دي معركة حياة أو موت، المسوخ دي عقولهم ميتة ومش بتفكر زيك كده، إنت بالنسبالهم فخدة ضاني في أفضل الأحوال هيخلوك زيهم.

قال زمباوي المستمر في ضرب الزومبي من حولهم بمسدسه:

-كنت بقول زيك برضو كده في الأول لكن مع أول واحد فيهم حاول يأكلني فهمت، العالم ده قاسي البقاء فيه لصاحب الاستعداد الأكبر لافتراس عدوه.

ابتلع عبد التواب ريقه، وأحكم قبضته المرتعشة على سلاحه، لاحظ فجأة أن هناك زومبي يخطو بسرعة نحوه وعلى بُعد خطوات من الفتك بيه، فرفع بندقيته ووجه المسدس نحو رأس هذا المسخ، ولم يشعر بنفسه إلا وقد فجر رأس هذا الشيء، لم يكن عبد التواب هو من ضغط الزناد حينها بل خوفه،

تطايرت دماء هذا الزومبي الملوثة في كل مكان وسقط غارق في دمائه فوق سجادة حمراء كانت تتوسط المنزل فصاح زمباوي:

-حرام السجادة الحمر ا باظت، دي كانت بعشرتلاف جنية.

رد مهيطل وهو لا يكف عن تفجير رؤوس الزومبي الواحد تلو الأخر: سجادة إيه يا عم دلوقتي بقولك أيام سودة، عايزين مكان نهرب منه من حلقة ثبت صنم اللي إحنا فيها دي.

صاح زمباوي:

-في ممر نقدر نعدي منه لبره عن طريق باب بيودي لبدروم تحت من الناحية دي.

أشار زمباوي في اتجاه الممر فبدأ ثلاثتهم يركزون ضرباتهم في ذاك الاتجاه ليصنعوا ممرًا وسط حشود الزومبي يعبرون منه، أثناء محاولتهم العبور عبر هذا الممر الذي خلقته طلقاتهم استغرق الأمر الكثير من السرعة والحذر من مخالب وأنياب تلك المسوخ، حتى أن عبد التواب تجنب مخالب أحدهم في اللحظة الأخيرة، دخلوا إلى الغرفة التي أشار إليها زمباوي وقف زمباوي عند سجادة من الصوف فأزاحها ليظهر أسفلها الباب الذي يؤدي إلى البدروم. أزاح عبد التواب الباب بينما بدأ الزومبي يقتربون من الغرفة، أسرع زمباوي يغلق الباب لكن أياديهم كانت أسرع منه فأعاقت غلق الباب، هنا قال مكرم زمباوي بلهجة حازمة:

-انزل إنت ومهيطل وأنا هعيق تقدمهم.

-لأ، إحنا مش هنسيبك لوحدك هنخدك معانا.(قال عبد التواب)

صرخ فيهما قائلًا: انزلوا بسرعة أنا الوقت عدى بالنسبالي.

رفع يده المكشوفة أمام عينيهما ليريهما أثار الخدش الذي أصيب به واستطرد:

-المسألة مسألة وقت قبل ما أبقى زيهم

نزلت دمعة من عيني مهيطل وسقطت فوق السجادة فأحرقتها! فأفزع ذلك عبد التواب وأخرجه من حالة التأثر التي كان فيها، أسرع عبد التواب بالهروب إلى الأسفل وشد مهيطل من ياقة الجاكت الجلدي إلى الأسفل، وصوت العم زمباوي يأتي من بعيد بعد أن غاب عن ظهرهما: لو خرجت من هنا زيهم وقابلتوني يوم في طرقكم أوعى تترددوا في إنكم تتضربوا عليًا نار.

أغلقوا باب البدروم خلفهما قبل أن يهبطا درجات السلم مبتعدين عن صوت مقاومة زمباوي وطلقاته النارية وزئير تلك المسوخ الآدمية. مشيا بين كراكيب البدروم محاولين باستماتة ألا يتعثروا أثناء بحثهما عن درجات السلم المؤدية إلى خارج المنزل، بالفعل عثروا على السُلم أخيرًا وصعد مهيطل ليخترق الباب إلى الأعلى، ثم أزاح الباب ليُفسح الطريق لعبد التواب ليصعد هو الآخر. وقف الاثنان أخيرًا في الهواء الطلق، طرق مهيطل بإصبعيه ليُعاود التوكتوك «تكاتك» الظهور فظهر مقلوبًا على جنبه الأيمن، ساعد عبد التواب مهيطل في إعادة التوكتوك إلى وضعه الطبيعي، قبل أن يجلس مهيطل فوق مقعد القيادة ويُدير محرك التوكتوك ويتأكد من أنه سليم.

-يلا اركب بسرعة هيخلصوا على عمك زمباوي وهيخرجولنا.

صدر هذا الأمر من مهيطل إلى عبد التواب فأسرع الأخير في ركوب التوكتوك وانطلق الاثنان بعيدًا عن البيت، وبدأ صوت الطلقات يُصبح أبعد، سأل عبد التواب مهيطل:

-تفتكر هيطلع منها سليم؟

-والله ده على حسب عمل كل واحد وكل واحد ونيتة، لو الراجل ده نيتة سليمة يبقى ربنا هيكرموا.

-بارك الله فيك يا شيخ مهيطل.

-حبيبي.

خرجوا بالتوكتوك إلى الطريق الدائري حتى يُصبح الطريق أمامهم مفتوحًا

وخاليًا من أي عقبات، لكنهما فُوجئا بحوالي ثلاثين من الزومبي يُعيقون طريقهما، حاول مهيطل عمل «يو تيرن» بالتوكتوك لكنه اصطدم بمجموعة أخرى من الزومبي تسد عليه الطريق من الجهة الأخرى، سأل عبد التواب في ذعر:

-متعرفش تعمل النار والاشتغلات الكتير اللي عملتها قبل كده وحرقتهم بيها؟

رد مهيطل:

-لأ، دي كانت صدفة ومعرفش حقيقي بتتعمل إزاي.

قال عبد التواب في ذعر:

-يعني هنموت كده؟!

-معتقدش إحنا لسه في نص الرواية ومش من مصلحة الكاتب يموتنا دلوقتي أعتقد معندناش حل غير إننا نحاول نخش فيهم بسرعة ونخرق صفوفهم.

أعدادهم في تزايد والحلقة تضيق حولهما أكثر لم يعد يفصل بينهم وبين التوكتوك سوى ثلاثة أمتار، عبد التواب يعض على شفتيه، ومهيطل يُحكم قبضته على ذراعي القيادة، لكن فجأة ظهر صوت من العدم!!!

(بـــت.. هاتي بوسة يا بـــت.. بـــت.. هاتي حتة يا بت)

بدأ صوت تلك الأغنية فجأة يتردد في الأجواء من حولهما، ومع كل ثانية تمر يُصبح الصوت أقرب.

(بـــت.. هاتي بوسة يا بـــت.. بـــت.. هاتي حتة يا بت)

نظر مهيطل وعبد التواب وحتى حشود الزومبي في اتجاه الصوت، فوجدوا ميكروباص يتجه بسرعة نحو حشود الزومبي المنسجمون مع لحن الأغنية قبل أن يصطدم بهم.

(هاتي بوسة يا بت.. تارا تارا.. هاتي حتة يا بت.. تارا تارا)

كان مهيطل يعرف الميكروباص ويعرف مَن صاحبه

(هاتي بوسة يا بت.. تارا تارا.. هاتي حتة يا بت.. تارا تارا)

لم يكن الميكروباص سوى هبة، ولم يكن سائقه سوى الجِنيرال. بعد أن اخترق الميكروباص حشود الزومبي، توقف بسرعة قبل أن يصطدم بالتوكتوك، ونزل منه الجِنيرال مبتسمًا وهو يقول: عبده وهيطا حبايب ألبي، ده أنا كنت هتجن عليكم.

(حبيبي لابس برنيطة.. ومعلق في رقبته شريطة.. حبيبي لابس برنيطة ومعلق في رقبته شريطة)

قال مهيطل فرحًا: هولا يولا يا شقيق، جيت في وقتك كنت فين ياعم؟

رد الجِنيرال بصوته العميق: لا دي قصة كبيرة يلا بينا بس نهب من هنا ونحكي بعدين؟

نظروا حولهم فوجودوا الزومبي يرقصون على الأغنية الصادرة من هبة الميكروباص ونسوا تمامًا أمر مهطيل وعبد التواب.

(ولا.. ولا.. الوسادة الخالية تعبت مني يا غالية.. الوسادة الخالية تعبت مني يا غالية)

كانت أمارات التعجب بادية على وجهيّ مهيطل وعبد التواب فقهقة الجِنيرال شارحًا:

-ده بقى الاكتشاف ولاد ال*** دول طلعوا صحاب مزاج وبيحبوا الأغاني الشعب، بيفكروني بنفسي لما ببقى مصطبح.

(ولا.. ولا..)

لم يكن الجِنيرال يُدرك وقتها كم كان محقًا حين شبه الزومبي بالشخص «المصطبح»، لكن اصطباحتهم تلك اصطباحة أبدية، استطرد الجِنيرال:

-يلا اركبوا وافتحوا نفق الشهيد عبد المنعم رياض اللي جينا فيه ده بسرعة قبل ما الأغنية تخلص.

(بـــت.. هاتي بوسة يا بـــت.. بـــت.. هاتي حتة يا بت)

ركب هيطا وعبده التوكتوك وقام الأول بفتح البوابة بينما يصيح:

-هولا دوبا لاما هولا دوبا لاااا!

ودخلوا فيها قبل أن يتبعهم الجِنيرال مع حبيبته هبة، تاركين الزومبي خلفهم يرقصون وأغلقت البوابة وراهم.

كالعادة قضوا وسط نفق النار بعض الوقت يتخبطون ويدورون، إلى أن انفتحت البوابة وسط نفق النار وطل منها مشهد المخزن المحترق، وسمع صوت أذان الفجر يطرق طبلة أذنه،فأدرك أخيرًا أنه عاد للمنزل لم يتحمل عقلة كل هذا الدوران، والضغط الناجم عن السفر عبر الخطوط الزمنية، فأغشي عليه،وغرق في ظلمات اللاوعي.

*****

وبدأ الظلام ينقشع _ واسمحوا لي وسط الكلام أن أقول ينقشع_ عن عينه ليطل عليه من بعيد نور قوى أعمى عينيه، قبل أن يدرك أنه جاثي على الأرض وسط ممر يُشبه ماسورة قطرها يقارب الثلاثة أمتار، هناك شيء يعترض طريق الضوء أمامه ليُشكل سلويت أسود، مع بعض التركيز أدرك عبد التواب أنه توكتوك يجلس بداخله شخص، قال الشخص داخل التوكتوك:

-قوم يا عبده.

شعر عبد التواب أنه يعرف صاحب الصوت فسأل:

-مين؟

خرج صاحب الصوت من التوكتوك واقترب من عبد التواب لتتضح ملامحه؛ أذنان طويلتان كأذني بندق، وجلد أصفر، ورأس يعلوها كاب مختلف الألوان،

ويُغطي نصف وجهه نظارة سوداء.

-مهيطل؟!

سأل عبد التواب فرد مهيطل:

-أكيد مش غسان مطر هو الموقف اللي إحنا فيه ده مدي شوية على فيلم لا تراجع ولا استسلام، بس إحنا حاليًا جوه خيالك المريض اللي الأفلام مسيطرة عليه.

-يعني إنت حلم مش كده؟

-تقدر تقول كده، أنا عقلك الباطن ومتجسدلك على هيئة مهيطل مع نضارة غسان مطر.

-يعني مهيطل مش حقيقي؟ يعني كل اللي حصل ده كان حلم مش كده؟!

-بص هو الحاجة الوحيدة اللي أنا متأكد منها إن أنا مش حقيقي، لكن حوار مهيطل ده أنا محتار فيه زي زيك والله هو شيء أنا كعقلك مش مقتنع بيه.

- طب بما إنك عقلي في سؤال محيرني من زمان.

-اتفضل ياصاحبي.

-هو أنا فعلًا غبي ومليش لازمة زي ما الكل بيقول؟

ابتسم مهيطل الذي عرفنا أنه عقل عبد التواب الباطن وقال:

-إنت مش غبي ياصاحبي، إنت بس مش واثق في نفسك، وعمرك ما ركزت على حاجة واحدة أو هدف واحد كل إنسان ربنا خلقه ليه فايدة ممكن تموت من غير ما تعرف الفايدة دي بس اتأكد إنها موجودة. إنت زي شباب كتير عجلة الدنيا داست عليهم اثبت لنفسك إنك مهم ومش مهم تثبت ده لأي حد تاني.

-ياااه، ده نفس الكلام اللي بتقولهولي عمتي.

-مهو أكيد أنا مش جايب الكلام ده من عند أمي أكيد حد قلهولك قبل كده بس اترمى في عقلك الباطن وأنا بفكرك بيه.

-طب هو الحلم ده مطول.

-تحب أقولك اعمل الصح والدنيا تضلم والكلام ده.

-أي حاجة المهم أصحى.

-خلاص، هطرقعلك بصباعي فتصحى.

-زي ماجد الكدواني في طير إنت؟

-لأ زي ثانوس في إنفنتي ورر.

طرق عقل عبد التواب الباطن بإصبعيه، فأظلم كل شيء من جديد.

*****

فتح عبد التواب عينيه ببطء ليجد نفسه نائم في غرفته، بينما أجلس أنا بجواره عمته أم شريف، أحدث الشيخ «عودة» في أمره:

-من ساعة ما لقوه هو والتوكتوك جوه المخزن المحروق سليم ومفهوش لسعة واحدة ولا هو ولا التوكتوك وأنا شاكة في الموضوع، الناس نفسهم مكنوش مصدقين وهما بيطلعوه من الحريقة إنه سليم ومفيش حتى حبة تراب على هدومة، واللي زود شكي التخريف اللي بيقعد يخترف بيها وهو نايم وبينادي على ناس غريبة مهيطل.. الجنيرال.. وواحد اسمه عم زمباوي.. وبيكرر كلمة جن كتير، مرة لقيته حاضن المخدة وهو نايم وبيقلها إيه ياهبة ياحبيبة ألبي آخر حاجة عملها لما كنت بغيرله كيس الكلوكوز لقيته فتح عينيه وبرق تبريقه مرعبة وقلي اعمل الصح ونام تاني، أنا متأكدة يا شيخ إنه ملبوس.

قال الشيخ عودة:

-لأ هو كل ده مش دليل في احتمال تاني منطقي أكتر إن ميمز الفيس بوك والأفلام العربي مبوظاله دماغه.

-طب والحل إيه يا شيخ؟ مش يمكن اللي عليه زي اللي كان على علاء العاق ابن سيد؟

-لا يا حاجة ده علاء ده كان حاجة تانية أنا شايف إن عبده كويس ومش محتاج حاجة، ع العموم أنا هبقى أعدي عليكم كل يوم أرقيه والباقي في إيد ربنا.

*****

قطعت حكي أم شريف سائلًا بفضول قط:

-إيه حكاية علاء دي؟

أجابتني متنهدة:

-لاااااه، ده حوار تاني خالص بعيد عن حكايتنا

-احكهولي مش هيخسر.

ألقت نظرة إلى ساعة الحائط فوجدتها التاسعة والربع، ابتسمت لذلك وقالت:

-لامؤخذة بقى ياعم شهريار، الديك أذن ولازم تروح بيتكم.

ابتسمت لدعابتها وقلت:

-وماله يا حاجة شهرزاد نروح وبكرة يوم جديد.

(7)
جن بني مشلوح

(فصل سخيف للحشو.. ولا يخدم حكايتنا في شيء)

ذهبت إلى بيت الحاجة أم شريف في اليوم التالي لآخر جلسة لنا وأحضرت معي كيس من القهوة «بُن غامق» كالعادة كان باب الشقة مواربًا فطرقته بهدوء متأكدًا من تواجدها بالداخل، وكالعادة جاء صوتها:

-أدخل يامُودي.

-مُودي!

تعجبت من التسمية ودخلت بهدوء قائلًا:

-مودي مين يا حاجة ده أنا!

-كانت ممسكة بهاتفها الجوال تعبث بأصابعها فوق شاشته وتُحدثني دون أن تلتفت لي:

-ماأنا عارفة بعرفك من خبطتك، وبعدين ماأنا مغلطش، مودي دلع مُدوّن ممكن إنت كمان تشيل الألقاب ومتقوليش أم شريف تاني.

-أمال أقولك إيه؟(سألتها متعجبًا)

-قولي يا أم شيكو.

ضربت وجهي بباطن يدي وقلت بنفاذ صبر: أنا من رأيي نرجع تاني لأم شريف وحموكشة، حلو حموكشة أنا قابل بيه أحسن من التهزيق اللي فات ده، بس هو أنا عايز أسألك سؤال، إنتي ليه علطول سايبة باب الشقة موارب؟! مش بتخافي؟

ردت بثقة: أخاف من إيه أهل الحتة ناس طيبين، وبيطلوا عليا من وقت

للتاني، ثم إن حتى لو حد حب يتعرضلي.

سكتت ثم مدت يدها داخل جلبابها لتخرج صاعق كهربائي، ضغطت على زر تشغيله فأصدر أزيزًا مرعبًا قبل أن تستطرد:

-معايا ده مبيفارقنيش.

قلت بتهكم: وده بقى اللي هيحميكي من الحرامية!

ردت بنفس الثقة: ميخدعكش حجمه ده يجيب الجن نفسهم الأرض.

قررت تغير الموضوع فرفعت في وجهها كيس البن الغامق قائلًا: جبتلك بقى شوية بن غامق إنما إيه حوار علشان تحكي بمزاج.

-أنا مبحبش البتاع ده طعمه عامل زي الفحم المحروق، عايز تعمل لنفسك منه اعمل واعملي أنا من المحوج بتاعي، اعملهولي في مج متنساش.

ربما تضايقت بعض الشيء أن هديتي لم تعجبها، لكن هذا ليس بالأمر المهم، المهم أن تحكي صنعت فنجان قهوة بن غامق ليّ وصنعت لها مج البن المحوج، ناولتها إياه وجلست على الأرض كالعادة أنظر إليها فوق الكنبة وهي تحكي.

-كُنت عايز تعرف حكاية علاء جارنا اللي اتلبس مش كده، خد بالك إنها حكاية غير أي حكاية ممكن تكون سمعتها عن حد اتلبس..

*****

في يوم من الأيام قرر جارنا الحاج سيد البقال أن يشتري لابنه الوحيد علاء توكتوك كي يعمل عليه، على الأخص حين لاحظ أن نصف شباب المطرية «بسم الله ما شاء الله اللهم لا حسد» أصبحوا يركبون التكاتك وغدت العملية معهم كالزبادي في الخلاط، بالفعل اشترى الحاج سيد التوكتوك وعمل عليه ولده علاء وأصبح يُدر عليه دخلًا لا بأس به، لكن ما هي إلا فترة قبل أن يتغير كل شيء؛ لاحظ الحاج سيد أن ولده لم يعد في حالته الطبيعية،أصبح

يتصرف تصرفات غريبة، كل يوم تأتي للحاج سيد العديد من الشكاوي بسبب تصرفات علاء الغير مألوفة والمكروهة، فعلى سبيل المثال حين يمشي في الشارع يبدأ بالتشنج فجأة قبل أن يقوم بجذب بنطال الواقف أو السائر أمامه إلى أسفل، ولا يفرق بين رجل وامرأة في تصرفه هذا، تم ضربه خمس مرات وكتبت فيه ثلاث محاضر تحرش في قسم المطرية، وفي كل مرة ينجح الحاج سيد في إرضاء صاحبة المحضر وإخراج ولده من القسم معللًا تصرفات نجله بأنه متخلف عقليًا. وكانت الطامة الكبرى حين رشق علاء بالتوكتوك في المراجيح، هنا قرر الحاج سيد أن يحبس ولده المصاب جسديًا وعقليًا في غرفته في المنزل ولم يعد يعرف أيعالج عقل الفتى أم جسده.

أثناء الفترة التي قضاها علاء في البيت بدأ الحاج سيد يرى ويسمع أشياء أغرب من الخيال، في أحد المرات حين دخل الحاج سيد ليدهن كدمات علاء ولده بالمراهم المسكنة لم يجده فوق سريره!!! تسلل لأذنيه صوت أنفاس هادئة يأتي من أعلى بدأ الحاج سيد يرفع نظره لأعلى بهدوء لتتسع عينيه نتيجة صدمته مما رأى! كان علاء يحتضن مروحة السقف بفخذيه العاريين من أي ملابس متعلقًا بها ليصبح جسده مقلوبًا رأسًا على عقب كالوطاويط! كان ينظر في عيون والده نظرة ثابتة توحي بالبلاهة، لكنها مرعبة. كل شيء في الموقف كان مرعبًا وغير مفهوم كيف لشخص مصاب بكل هذا الكم من الكدمات في جسده أن يكون لديه القدرة على الصعود إلى مروحة السقف؟! كيف لإنسان طبيعي أن يفعل ذلك من الأساس؟!

موقف آخر حصل في اليوم التالي حين دخل الحاج سيد ليُعد كوبًا من الشاي، فوجد علاء يقف داخل المطبخ يُمسك موقد الغاز الصغير«الولاعة»، يضغط على زر الاشعال فيخرج منه اللهب، ثم يرفع يده عن الزر فيختفي اللهب، كان يضعها أمام عينيه وينظر لها بجنون وهو يكرر بصوت يختلف عن صوت علاء الذي يعرفه الحاج سيد:

-هلسوعكم في فخادكم كلكم، كلكم هتتلسوعوا، هتتلسوعوا.

ثم يضحك ضحكات ماجنة مرعبة.

أضف إلى ذلك حب علاء المفاجئ لاصطياد الصراصير وأكلها، وولعه الشديد بشرب السجائر ثم إطفاءه في لحم فخذه العاري دون أن تبدو عليه أي مشاعر ألم، وصوت شخيره الذي يشعرك أن هناك أسرة كاملة تنام وتُشخر داخل الغرفة.

كل ذلك جعل الحاج سيد يميل إلى كون ولده ممسوسًا، لكنه تأكد من ظنه حين صادف أن رأى انعكاس وجه ولده علاء في المرآة لم تكن ملامح علاء هي ما يطل من زجاج المرآة، بل شيء آخر مخيف، وأصفر، بآذان كبيرة، وعيون واسعة شديدة السواد مع فم كبير به أنياب تساقط أغلبها.

هنا تأكد الحاج سيد من ظنه ولده علاء ممسوس، ولابد من شيخ قادر على التعامل مع هذا المس.

كان الشيخ «عودة» أشهر المعالجين في منطقة المطرية، وهو تلميذ لواحد من أشهر معالجي الشرقية الشيخ محمد عبد الوكيل، فذهب له الحاج سيد وحكى له كل ما رأى وسمع طالبًا منه أن يساعده في استعادة ولده الوحيد من براثن الجن، فوافق الشيخ عودة دون أي تردد ووعد الحاج سيد أن يُعيد علاء لطبيعته دون أي مقابل. ذهب الشيخ عودة بصحبة الحاج سيد إلى منزله لرؤية علاء دخلا إلى الشقة ثم فتح الحاج سيد الغرفة، ودلفا إلى الداخل بهدوء، ليصطدم الشيخ عودة بأغرب مشهد رأه طوال مسيرته في طرد الجن والعلاج، كان علاء جالسًا فوق سريره عاريًا تمامًا كيوم ولادته مما سمح للشيخ برؤية آثار إطفاء أعقاب السجائر في فخذه، بينما قدمه اليسرى ملفوفة خلف رأسه كرهبان التبت، وفي يده مصاصة بطعم الفراولة يلعقها باستمتاع، قال الشيخ عوده الحاج سيد:

-لا يا حاج أنا مش بتاع كده، أنا أتفقت معاك إني أعالج واحد ملبوس مش بلبوص.

قال الحاج سيد بنبرة توسل: ماتخفش يا عم الشيخ هو كده من ساعة ما اتلبس وهو بطل يلبس.

سأل الشيخ: هو اتلبس إمتى وإزاي؟

-والله يا شيخ ما معرفش غير اللي حكيتهولك لما جيت لك.

-طب تمام يا حاج سيب لي المصلحة دي وأنا هسيطلك ابنك وهرجعه بإذن الله يجعر في البيت زي الحمار بس قُولي هو إنت اللي جايب له المصاصة دي؟

رد الحاج سيد: والله يا شيخنا أنا مجبتلهوش حاجة ومعرفش جاب المصاصة دي منين.

-السؤال اللي أهم من ده هو المصاصة دي بطعم إيه؟

-إيه؟!(صدرت عن سيد مستعجبًا فرد الشيخ بسرعة)

-متخدش في بالك، خليك إنت وراء بس لحد ما أحتاجك.

اقترب الشيخ عودة من الفتى، وشرع في قراءة المعوذتين، وآية الكرسي، وآيات من سورة الكهف، فبدأ علاء يتشنج ويقفز يمينًا ويسارًا، شعر الشيخ عودة أنه تمكن أخيرًا من هذا الجني فأمسك بجسد علاء، وثبته أمامه كما يُثبت النجار المسمار في الخشب.

هدأ علاء فجأة وكف عن التشنج والحركة، ثم أغمض عينيه ليخرج منه فجأة صوت اعتراضي صدم الشيخ عودة والحاج سيد وجعل عيونهما تتسع من المفاجأة.نادى الشيخ على الحاج سيد قائلا:

-اللي عليه حضر بسرعة تعالى كتفه معايا.

لبى الحاج سيد النداء وأسرع يقيد يديّ علاء بقبضتيه الخشنتين، ثم وجه الشيخ لعلاء أو للشيء الذي يتلبس علاء سؤاله:

-إنت مين؟

فرد الشيء المتلبس جسد علاء بصوت مختلف تمامًا عن صوت علاء، صوت هو أقرب لصوت مدخن مصاب بسرطان الحنجرة:

-ياعم شنتولك.

بكل ما في كف الشيخ عودة من عزم وقوة صفع علاء على قفاه، وكرر سؤاله:

-إنت مين؟

خرج من علاء نفس الصوت الاعتراضي من جديد وتكلم الشيء قائلًا:

-أخرك معايا لسعة في حتة واسعة.

صفعه الشيخ عودة صفحة أخرى قائلًا بحزم:

-ده أنا اللي هوسعك من الضرب لو منطقتش باسمك.

قال الحاج سيد:

-احرقه يا شخنا.

تراجع الشيخ إلى الخلف خطوة وبدأ يتمتم ببعض الأدعية، بصوت خفيض في البداية ثم راح بعدها يعلو بصوته تدريجيًا، تشنج جسد علاء وراح يزوم قبل أن ينطق أخيرًا:

-اسمي هشاااااممممممممم

سأل الشيخ بصوت قهوري:

-والدلع؟

سأل الحاج سيد متعجبًا:

-وده هيفيدك في إيه؟

رد الشيخ: بينفع صدقني علشان نعرف نسيطر عليه معلش سبني أشوف شغلي.

ردّ صوت الجني: اتششششششششش

سأل الشيخ مستخفًا دمه: ده دلعك ولا طشة الملوخية.

تدخل الحاج سيد للمرة الثانية في الحوار: ما صباح الفل يا سيدنا الشيخ في إيه؟!

قال الشيخ موضحًا: أرجوك ياعم سيد سبني أشوف شغلي أنا بحاول أفرفش الجني واستدرجه في الكلام.

وجه الشيخ سؤاله إلى الجني: اسم عشيرتك يا إتش.

رد صوت العفريت وهو يزوم: بني مشلوحححححح.

-لا ده واضح فعلًا، قولي إيه اللي خلاك تلبس علاء ابن عم سيد؟

-عايز أنتقمممم .

-ليه؟ رمى عليك السجارة في الحمام حرقلك التيشرت؟

قال الجني بنفاذ صبر: خد رقمي يا شيخخخخخخ، أديك رقم أمي كمان لو عايز وبطل خفة دمممم.

أسرع الشيخ يقول: مش قصدي أتريق أنا طبعًا مُحترم رغبتك كعفريت في الانتقام، بس إديني أسباب واضحة.

قال ابن مشلوح بصوت ظهر فيه التأثر:

-الـ*** اللي أنا لابسه ده ضيع مني كل حاجة، كنت راكن التوكتوك اللي حيلتي على جنب بسبب تسريب جاز كان فيه وخليته خفي عن عيون البشر، قوم الباشا شرب سيجارته ورمى السجارة في نفس الحتة اللي أنا كنت سايب فيها التوكتوك من غير ما يطفيها، السجارة مسكت في التسريب وهوبا التوكتوك ولع، ولقيت نفسي فجأة خسرت كل حاجة، علشان كده كان لازم أنتقم منه وأدوقه لسعة السيجارة دي ألف مرة.

- معلش يا عم امسحها فيا المرة دي،أطلع بقي لأن عم سيد بيقول إنه ناوي يطلع تربتاتاتاتاتيت أمك لو مطلعطش من نفسك.

أصر الجني هشام على أن لا يخرج قائلًا:

-ياعم مشهطلع يا عم.

هنا قرر الحاج سيد التدخل وضع يديه فوق كتفيه ولده وضغط عليهما ليجعله يركع على الأرض، ثم أحنى رأسه ليجعل قفاه مكشوفًا لأعلى، قبل أن يبدأ يوسع قفاه ضربًا، فبدأ الجني يصرخ من داخل جسد علاء:

-حراااااممممم.. ارحم أمي العيانة ياحاج.

لكن عم سيد لم يكف عن ضربه بل أسقط جسد ابنه أرضًا وراح يكيل له اللكمات، بينما وقف الشيخ عودة يتابع دون أن يتدخل، فتلك مشاكل عائلية لا دخل له بها.

تابع الجني استغاثته:

-يا عم الحاج أنا هطلع بكرامتي، عليا الحرام هطلع بس كفاية يا عم سيد أبوس إيدك هو الواد جسمه باظ أساسًا هقعد فيه ليه؟!

أشفق الحاج سيد على الجني وولده وقرر أن يكف عن ضرب الفتي أخيرًا، ابتعد عنه وقال:

-يلا أطلع.

- طب معلش أنا عايز تعويض عن التوكتوك بتاعي.

صدر من الحاج سيد لفظ قبيح وبدأ في خلع حزامه فذُعر الجني وتراجع عن كلامه بسرعة:

-إنت هتعمل إيه ياعم سيد خلاص ياحاج إنت بتقفش بسرعة ليه أنا كنت بهزر معاك، بص أنا هطلع دلوقتي بس أمانة عليك ياحاج سيد متحكيش لحد على اللي حصل ده أحسن الخبر يوصل للحتة عندنا هيزفوني ساعتها.

هنا قرر الحاج عودة أن يتدخل بخفة دم أمه المعتادة ليكسر من حدة

الموقف:

-متخفش مش هنقول لحد وهنقول لباقي الأسبوع.

تقلصت ملامح علاء أو الجني من أثر الصدمة الناجمة عن «ألشة» الشيخ عودة، وبدأ يصرخ بينما الدخان يخرج من كل فتحات جسده قبل أن يسقط جسد علاء على الأرض.

أسرع الحاج سيد يتأكد من سلامة نبض ولده، فوجد نبضه على خير ما يرام، نظر إلى الشيخ عودة الذي كان مندهشًا مما حصل وتساءل:

-هو الجني حصله إيه؟

رد الحاج سيد:

-أعتقد إنت فقعتهاله يا شيخ، إنت فقعتهالي أنا شخصيًا.

-يعني أنا كده حرقته؟

-إنت بتسألني أنا ياشيخ؟! هو حتى لو متحرقش فهو أكيد مبقاش نافع خلاص.

انتهت حكاية الجني هشام بن مشلوح بعد أن تم حرقه بواسطة ألشة الحاج عودة السخيفة، وعاد علاء إلى طبيعته من جديد، لكنه قضى عام كامل في المستشفى يتعافى من كم الكدمات والكسور التي سببها له والده أثناء عملية الطرد.

*****

-دي أسخف حاجة سمعتها في حياتي.

فردت أم شريف باستهجان:

-لا ياراجل!! ده على أساس إن قبل كده كنت بحكيلك عن مآسي الحرب العالمية التانية.

قلت لها بينما أنظر إلى السقف مُفكرًا:

-طب بصي أنا هحطها في الكتاب علشان أملا عدد صفحات وخلاص، بس ياريت منبعدش عن حكاية عبد التواب ابن أخوكي تاني.

-براحتك يا حموكشة، طب مَج القهوة الحلو بقى بتاعي علشان أكملك اللي حصل لعبد التواب.

قلت لها:

-يا حاجة ده خامس مَج قهوة تشربيه وإحنا قاعدين هتموتي.

ربعت يدها وزمت شفتيها كالأطفال وقالت: طب مش هحكي.

أسرعت أقول: خلاص ياستي هعملك اللي إنتي عيزاه، يارب إنت عارف.

(8)
الجن المشمشي

القطة المشمشية بتلعب في التراب.. ماما لبستها الجزمة والشراب..

*****

في الفترة التي لحقت حريق المخزن ودخول عبد التواب في غيبوبة طويلة استمرت ما يقرب من أسبوع تردد علينا العديد من الشيوخ والأطباء، وكانوا جميعًا يجزمون أنه بخير على المستوى الجسدي والروحاني، لكنهم رجحوا أن يكون الأمر نوع من الصدمة العصبية أو الغيبوبة المؤقتة، وبالفعل بعد مرور أسبوع استيقظ عبد التواب وعاد إلى الحركة والأكل بشكل طبيعي فعادت إليّ سعادتي لكن تلك السعادة لم تستمر لفترة طويلة؛ فلقد بدأت ألاحظ أنه ليس على ما يرام بالمرة، فقررت أن أحادثه وأفهم منه ما يفكر فيه ويشعر به وأعرف منه أكثر عن تفاصيل حريق المخزن، ودار حوارنا كالآتي:

-مالك يا حبيب عمتك، مش حساك كويس ليه؟ ده أنا ما صدقت إنك بقيت كويس وفُقت.

رد عليّ بصوت خفيض مُنكسر:

-مش عارف أقولك إيه بس أنا تايه، ومش فاكر أي حاجة، مش عارف أعبر بس زي ما يكون الحلم دخل في الحقيقة وكل حاجة بقت..

سكت ولم يُكمل كلامه فعبس وجهي ثم قلت:

-براحة بس وفهمني هو إنت يوم الحريق المخزن ده كنت شارب حاجة؟

رد بنفس الصوت الخفيض:

-والله ما عارف ومش متأكد، أنا شاكك برضو إني كنت شارب حاجة بس مين اللي إدهالي؟ أنا لو حكيت لك الحاجات اللي حلمت بيها والتهيؤات اللي

شفتها هتقولي عليّا اتجننت خلاص.

أسرعت أقول:

-فشر!! اتجننت إيه ده إنت سيد العاقلين هدي نفسك كده وفوق لنفسك ولدنيتك.

-دنيتك إيه بقى يا أما.. ده زمان الواد كريم إكس واقف ليّ على آخر الشارع ومستني يشوفني تحت علشان يشلحني هدومي بعد ما حرقتله المخزن، المشكلة إني والله ما فاكر هو ولع إزاي، كل اللي فاكرة إن الجِنيرال رمى السيجارة وهوبا مسكت في البنزين.

-جِنيرال مين؟ (سألت بفضول)

-انسي ياعمتي.. تهيؤات.

قالها بصوت حزين ثم قام ودخل إلى غرفته.

في الفترة التي لحقت استيقاظ عبد التواب من غيبوبته وحالة التوهان التي كان يعاني منها تكررت حادثة غريبة معه هناك قط ظهر في الشقة! قط مشمشي اللون تمامًا على غير العادة يظهر فجأة ويختفى فجأة، ولم يكن يراه أحد سوى عبد التواب، أخبرني عبد التواب كثيرًا بوجود هذا القط، لكني لم أقابله ولا مرة ولا يترك أي أثر. فكر عبد التواب حينها أن الحشيش الذي شربه قبل الحادث قد يكون ساري المفعول حتى الآن، هذا يعني أنه «حشيش نووي» وليس صنف عادي، وتمنى لو يعرف مَن الذي أعطاه هذه الجرعة. ظلت أحلام عبد التواب مُشوشة لفترة لا بأس بها إلى أن حلم أخيرًا بحلم مفهوم بعد أسبوع من أضغاث الأحلام؛ وجد نفسه يقف داخل مخزن صديقه كريم لكن بعد أن احترق وغطى السواد كل شبر فيه، بينما يقف أمامه شخص أو شيء برتقالي اللون، ذو آذان طويلة، مع قرون صغيرة تكاد لا تُرى، نوع من العفاريت يُشبه كثيرًا ما كان يراه في كوابيسه السابقة، نطق هذا الشيء وهو يبتسم:

-هولا يولا.

-اااه، رجعت للتخاريف تاني.(قالها عبد التواب في سره وهو ينظر إلى هذا الشيء أمامه)

تابع الشيء البرتقالي كلامه:

-أنا مشمش ابن بني الأحمر، وبالمناسبة أنا برضو القط المشمشي اللي كنت بطلعلك.

كانت طريقة كلامه توحي بأنه أحمق أو غلبان، فحاول عبد التواب أن يجاريه في الكلام:

-لا استنى متقلش، إنت جني والقط ده ملعون وبيتحول بليل لتنين بيطير للفضا.

قال الكائن البرتقالي بلهجة مُتهكمة: إيه ياصاحبي الخيال الأوفر ده، أنا مبعوت لك ومعايا رسالة مهمة ليك.(أخرج الجني ورقة من جيبه وراح يقرأ ما كُتب فيها) الرسالة بتقولك: إنك لازم ترجع لكريم إكس صاحبك وتأخد منه التوكتوك علشان تشتغل عليه، وبتقولك كمان لا تقلق يعني متخفش إحنا مظبطين كل حاجة.

لم يعطِ الكائن البرتقالي فرصة لعبد التواب حتى يستفسر عن أي شيء فقد اختفى فجأة كما ظهر فجأة، وسيطر الظلام على عقل عبده الذي استيقظ في اليوم التاني وراح يتحرك بشكل آلي دون وعي منه في أرجاء الشقة بينما أتابعه أنا -أم شريف- بقلق وعدم فهم قبل أن يخرج من الشقة متوجهًا نحو جزارة صديقه كريم إكس، لم يعد عبد التواب إلى إدراك العالم من حوله سوى حين وقف أمام المخزن المحترق بجوار الزريبة وفي حوذته مفتاحه!

وقف عبد التواب يتأمل المفتاح في يده لدقائق يُحاول أن يفهم ماذا حدث وكيف حدث، ومتى حدث؟! لقد استيقظ من النوم ليجد نفسه واقف أمام المخزن المُحترق وبحوذته المفتاح ولا يذكر التفاصيل التي أدت به إلى هنا،

قرر أخيرًا أن يستخدم المفتاح لفتح المخزن وبمجرد أن رفع بابه الحديدي الجرار إلى أعلى انكشف له المخزن الذي يغطي السواد كل شبر فيه، بينما يتوسطه التوكتوك نظيف لم يمسه شيء!

اقترب عبد التواب ووضع يده فوق هيكل التوكتوك وراح يمررها فوقه، ثم تنهد قائلًا:

-وكإنك كنت صاحب مسافر ورجع.

جلس عبده فوق مقعد القيادة وأدار محرك التوكتوك، لكن هذه المرة لا دخان لا عفاريت صفراء لقد كان حلمًا بكل تأكيد.

خرج عبد التواب بالتوكتوك من المخزن وقرر أن يدور به قليلًا في المنطقة وبدأ يُقل بعض الزبائن في طريقه، ركب معه ثلاث شباب جلس اثنان منهم في الخلف، بينما تعلق الآخر في التوكتوك وجلس بجانبه، كان الأخير ملتصقًا بعبد التواب إلى الحد الذي يشعرك أنه على وشك الجلوس على حجره، كان ذلك المُحتك يرتدي فوق رأسه الأصلع غطاء رأس مُتصل بملابسه أو كما نحب أن نسميه»زعبوط»، فجأة شد أحدهم هذا الغطاء عن رأسه فاستدار الفتى برأسه يسأل: مين اللي شال الزعبوط؟!

رد أحد الزبونين في الخلف: محدش شده يا سطى والله.

أعاد الفتى تغطية رأسه وعاد بنظره إلى الأمام قبل أن تتكرر الحادثة فاستدار الفتى يسأل بغضب:

-مين اللي بيهزر ورا يارجالة.

رد أحد الزبونين: والله محدش نزله ياريس ده تلقيه اتزحلق من مطبات المنطقة.

هدأ الفتى وعاد بنظره للأمام دون أن يُعيد الغطاء فوق رأسه فكانت الطامة الكبرى حين تلقى الفتى قفه محترم سمع الشارع كله صوته يتردد في الأرجاء،

فتوقف عبد التواب بالتوكتوك وهو يعلم أن أبواب الجحيم قد فُتحت، أصدر الفتى الأصلع صوت اعتراضي من مؤخرة أنفه وصاح:

-ده أنا هفشخ اللي عمل كده مين فيكوا يا ولاد الشقيانة اللي ضربني على قفايا؟!

نظر الزبونان له باندهاش للحظات قبل أن تتحول نظرات الدهشة تلك إلى ابتسامات ثم ضحكات ماجنة تصحبها حركات واهتزازات غريبة في جسدي الزبونين وكأن شيء خفي يقوم بزغزغتهما، احتقن وجه الفتى الأصلع وصرخ:

-إنتوا بتتمسخروا عليّا، بطلوا ضحك وردوا.

فجأة خرج الزبونان من التوكتوك وجريا بعيدًا وهما يضحكان بينما تبعهما الفتى الأصلع، فقرر عبد التواب أن يفر بالتوكتوك بعيدًا عن هؤلاء المجانين. وبينما كان يجري بعيدًا بالتوكتوك لمح شيئًا أو شخص يجلس على أريكة التوكتوك الخلفية، شخص أصفر بأذنين طويلتين وعينين سوداوين واسعتين وفم كبير، أضف إلى ذلك جاكت الجلد الطبيعي والكاب متعدد الألوان

-هولايولا.

نطق مهيطل بتحيته المعتادة فأوقف عبد التواب التوكتوك بسرعة من أثر الصدمة فتسبب الوقوف المفاجئ بسحابة من التراب حوله:

-مهيطل! إنت بجد؟!(سأل عبد التواب)

رد مهيطل متهجمًا: إيه؟ أحضنك زي فيلم هيبتا علشان تصدق.

-طب إزاي؟!! مستحيل.

-قال مهيطل: طب أنا هثبتلك امممممم.. طب دابادابا دابادابا دابادابا داب.

تذكر عبد التواب تلك التعويذة من لقاءه مع الجِنيرال فرد:

-يا حلاوة الكبدة مع السفن أب!

تحمس مهيطل وقال: طب هيلاهيلا هيلاهيلا هيلاهيلا إيه

ابتسم عبد التواب وردّ: إزاي ودانك عاملين إيه؟

ضحك الاثنان بصوت عالٍ قبل أن يقول مهيطل:

-إزيك يا عبده؟ وحشتني قاعدتك.

-أنا تمام أو مش تمام مش متأكد.

لاحظ عبد التواب أن هناك رجل كبير يقف بجوار التوكتوك وينظر له بفضول، فابتسم مهيطل وقال:

-الراجل ده مش شايفني وشايفك بتكلم نفسك وفاكرك مجنون.

-مش بلومه أنا نفسي شاكك في الحوار ده.

-قابلت مشمش؟

-هو تبعك؟

-آه، مشمش ده كان زميلي في الإعدادية زمان بس هو غريب شوية أنا عارف.

-طب ومجتش ليه إنت؟

-علشان أنا مينفعش أبعد عن التوكتوك المسافة دي كلها ياأبو الذكاء، ده جزء من اللعنة، زود على ده إني كنت محتاج حد يلبس كريم صاحبك علشان يرضى يديك مفتاح المخزن ويلبسك إنت شخصيًا ويجيبك لحد عندي.

-طب سؤال تاني معلش هو مشمشي إزاي ولامؤخذة؟ إنت مش قلت لي إنكم تلت ألوان؟!

-لأ الموضوع أوسع من تلت ألوان بس، بس هو لكل قاعدة شواذ واختلاط الأجناس بيعمل أكتر من كده أصل أمه من الجن الأصفر وكانت خدامة في بيت عشيرة من عشائر الجن الأحمر وكان عندهم عيل طايش اسمه..

قاطع عبده مهيطل: بس بس بس خلاص، شوفت أنا الفيلم ده قبل كده.

تحمس مهيطل وقال: خلينا في المهم هاتني مكانك في التوكتوك علشان عندنا مشوار كده.

رد عبده بسرعة والذعر جلّي في وجهه: لا لا لا يا عم أنا عارف مشاويرك دي، وكفاية عليّا أوي لأني بدأت اتهطل يا مهيطل.

-اسمع بس المرة دي يابني هوديك مكان عمرك ما شفت في حلاوته.

-ياباشا أنا مبسوط كده.

-انت كداب ياسطى، مفيش حد فينا مبسوط في الحياة المملة دي، ولا انت مبسوط بالواقع العقيم بتاعك ولا أنا مبسوط بحبستي جوه التوكتوك السنين اللي فاتت، احنا محتاجين بعض.. من غيرك التوكتوك مش هيشتغل، ومن غيري مش هتقدر تتحكم فيه، التوكتوك ده هو تذكرة الهروب لأي زمن وأي دولة.

بدا على وجه عبده الاقتناع بكلام مهيطل فقال: طب وبعدين؟

تأكد مهيطل من أن صديقه الإنسي قد اقتنع؛ فتبادل معه الأماكن لكي يفتح مهيطل بوابته الجحيمية، مشاعر مختلطة بين الخوف والتردد والإثارة انتابت عبد التواب وهو يرى الجحيم الملون يشتعل أمامه ويستعد ليبتلعهم، بينما بدأ مهيطل يقود التوكتوك بسرعة نحو الفتحة وهو يقول: عايز أعترفلك باعتراف يا سطى.. أنا معرفش احنا رايحين على فين دلوقتي، خلينا نتفاجئ أحسن.

-ايه!(صدرت بشكل تلقائي من عبد التواب)

-هولا دوبا لاما هولا دوبا لا.

صاح بها هيطا قبل أن تبتلعهما الفُتحة ثم تنغلق خلفهما.

(9)
الخازوق الفضي

خرج مهيطل وعبد التواب بالتوكتوك من الممر الجحيمي ليجدوا نفسيهما فيما يشبة القرية البسيطة الهادئة، ورغم الظلام الذي يحيط بالعالم من حولهما إلا أن ضوء البدر الساطع سمح لهما برؤية تفاصيل البيوت التي لا تعلو عن طابقين، والمبنية بالطوب اللبن، وبالإضافة إلى الأيقونات الفلكلورية على جدران البيوت.

قال عبد التواب وهو يلطم وجهه: رجعنا لقرية العمدة دراكولا تاني!

قال مهيطل: لأ مافتكرش.. احنا فين يا تكاتك.. اديني إشارات ضوئية من غير صوت.

بدأ التوكتوك يستخدم شفرة مورس، يُنير مصباحه الأمامي ويغلقه عدة مرات، في بعض المرات ينير المصباح وينغلق في نفس اللحظة، وفي مرات أخرى كان يُنير لثانيتين ثم يعود لينغلق من جديد، قبل أن يتوقف مصباحه تمامًا عن الإنارة.

أخيرًا أعلن مهيطل النتيجة: احنا في الأربعينات.. الصعيد.. لسه جوه حدود مصر.

ندب عبده حظه: هو احنا مش مش عارفين نهرب من البلد دي ولا قانوني ولا حتى بتوكتوك ملعون بيسافر في الزمن والواقع من خلال ممرات جوه حدود الزمكان.

قال مهيطل: متزعلش نفسك يا صاحبي.. أهي برضو البلد اللي أويانا.

عبده: ياعم أنا متنازل عن الجنسية مش عايزها.

رد هيطا: ولما تتنازل عنها يا فالح هتعمل ايه.. هتبقى من غير جنسية.. يعني

بلبوص اجتماعيًا ودوليًا.

في تلك اللحظة أحس الإثنين بشيء يقف خلفهما.. وتناهى إلى سمعهما صوتًا غير مريح، التفت الإثنين معًا لينظروا في الصوت، فوجدوا نفسيهما يحدقان في وحش بإرتفاع ثلاث أمتار يمتلك رأس ذئب، عادا ينظران إلى بعضهما البعض قبل أن..

-اجري يا عبدووووو(صرخ بها مهيطل)

أعطى الإثنان لساقيهما العنان وتركا التوكتوك، صفر مهيطل حتى يعطي أمر لتكاتك بالإختفاء حتى لا يُسرق أو يتئذى، بينما راح هو وعبد التواب يلفون حول البيوت باحثين عن أي شخص أو أي شيء يمكنه مساعدتهم، والوحش خلفهما يكاد يلحقهما.

-ما تعمل أي حاجة ياعم الجني(قالها عبد التواب لمهيطل فرد الأخير)

-أضف لمعلوماتك.. الجن بيخافوا من الذئاب.. للدقة بيترعبوا منهم.

وجد عبد التواب في طريقهما حجر كبير بعض الشيء، فحمله بسرعة وإلتف برأسه دون أن يتوقف عن الركض وصوبه نحو رأس الذئب الآدمي، فأصابه في عينه، صدر من الوحش عواء عالي ثم توقف عن اللحاق بهما، لكن الإثنان لن يتوقفا عن الجري، ولا يعلمان متى يجب عليهما التوقف، آتت الإجابة على هيئة ذئب آدمي أخر يحاول الفتك بهما، يقف في طريقهما مباشرة.

صاح مهيطل: لف وارجع تاني.

استدار الإثنان وحاولا الهرب من طريق أخر وعبد التواب يُتمتم: مستذئبين!.. يارب أشوفك زاي مأنا عايز يامهيطل.. ربنا يحرقك يابعيد.

رد مهيطل: ياعم أنا مالي؟ ابقى كلم الكاتب ينزلنا المرة الجاية جزر المالديف.

لاحظ الإثنان فجأة أن الوحش توقف عن مطاردتهما فارتاح قلبيهما، لكن المفاجأة كانت حين وجداه يعترض طريقهما من الأمام، لم يكن يفصل بينه وبينهما سوى قفزة واحدة و..

هنا ظهر ذلك الخازوق المعدني الذي اخترق جسد الوحش من الخلف ليسقط أرضًا مسببًا سحابة من الغبار، خرج منها رجل قوي البنيان يرتدي كلسونًا أبيض طويل وسديري، ويلف رأسه بالكامل فلا يظهر منه سوى عينيه، بينما يمسك في يده الخازوق المعدني الطويل الملوث بدماء الوحش الذي تغيرت هيئته وتحول إلى شاب آدمي قائلًا:

-جالكم صميدة يا كوم شكاير المستديبين.

تهللت أسارير الإثنين ثم عاد إليهما الرعب حين لاحظا أن هذا الرجل يقترب منهما والشر في عينيه.

همس هيطا وهو يتراجع للخلف: هو ماله؟

رد عبده: غالبًا فاكرك منهم.. ومعاه حق الصراحة بودان الكلب اللي عندك دي.

غير هيطا من شكله في لحظات ليتخذ هيئة آدمية فتوقف المدعو صميدة عن الاقتراب وفتح عينيه وأغلقهما عد مرات قبل أن يقول:

-معلش يا رجالة كنت فاكركم مِستديبين.

قال عبده: أنا مش فاهم حاجة.. حد يفهمنا أي حاجة.

تظاهر مهيطل باللطف وهو يقول: أستاذ صميدة معلش.. احنا من القاهرة والعربية بتاعتنا عطلت في البلد هنا ومش عارفين نوصلها في الضلمة دي.. فبعد إذنك ساعدنا.

واتسعت ابتسامة عبد التواب ومهيطل.

*****

«المستديبين.. لعنة حلت على بلدنا من سنين.. لما ساحر كبير في البلد اسمه دياب الجعفري هرب من تهديد أهل البلد ليه بالجتل وقعد جوه مغارة

في الجبل، الحواديت بتقول إنه ساعتها باع نفسه للشيطان، فاداله قوة الديابة وشكلهم، فبقى نصه إنسان ونصه ديب، ونزل دياب للبلد علشان ينقل اللعنة لأهلها عن طريق الخدش أو العض، وفضل عددهم يزيد، لكن بعدين عرفنا إن ممكن جتلهم بأي رصاصة أو خزوق فضة لو اتضرب في جلبهم.. لكن أهل البلد لاحظوا إن اللعنة مبتحلش علينا غير في أيام لما البدر يكون كامل.. فجدروا يوصلوا لدياب ويجتلوه، لكن بعد ما كان خلاص نجل لأهل البلد اللعنة.. والحل كان إن اللي اتنقلتله اللعنة من أهل البلد يتنفي للجبل.. كنت لسه صغير لما أبويا وأمي ماتوا بسبب المستديبين.. فأصريت إن لما أكبر أقتلهم في السر واحد وراء التاني لأجل ما حرر بلدنا من لعنتهم»

أنهى صميدة كلامه بينما يستمع إليه عبده وهيطا الجالسين أمامه باهتمام، فسأل مهيطل: بس ليه برضو مغطي وشك وبتعمل ده في السر؟انت بطل المفروض!

رد: علشان عندنا في البلد اللي ليه تار عند التاني بيخده بحجة إن التاني مستديب، والحكومة لو عرفت مش هتصدج في كلمنا ده، شفت الشاب اَللي أنا كان مستديب وبيجري وراكم وأنا جتلته، ده ابن واحد من كبرات بلد جنبنا، الدنيا هتتجلب بكرة بسببه.

قال عبد التواب: في العموم مشكرين ع الاستضافة الكريمة دي يا رياسة إن راجل جدع وأمانة الله.

قال صميدة: ناموا هنا والصباح رباح، بكرة تدوروا على اللي انتوا عايزينه.

لم ينم الاثنين، ظلا مستيقظين حتى طلع النهار، كانا قلقين ويفكران، عبد التواب يفكر في كل ما يحصل معاه وعن الدافع الحقيقي بداخله الذي يجعله يستسلم لكل هذا، ربما هو محاولة بحثه عن ذاته أو هروبًا من واقعه البائس، بينما يفكر مهيطل في:» ياترى هيحطلنا فطير مشلتت وجبنة قديمة ع الفطار ولا لأ»

قرب الظهيرة كان الإثنان قد غرقا في النوم، لكن لم يناما أكثر من نصف ساعة فقد أيقظهما صميدة قائلًا: كفاية نوم يا رجالة، يلا علشان تفطروا، أو تتغدوا يعني ونروح نشوف عربيتكم.

في تلك اللحظة دخلت عليهما فتاة ترتدي جلباب أسود يبرز عودها الرشيق، وطرحة تغطي بها شعرها وجزء من وجها، تمسك في يدها صينية محملة بالطعام، ثم تكلمت الفتاة ليتأكد عند عبده وهيطا سنها الذي لا يتجاوز العشرين: الفطار.

نظر عبد التواب نحو عينيها السوداوين ففتن بها رغم أن بإحدى عينيها آثر لكدمة واحمرار، صاح صميدة وهو يأخذ منها الصينية: هاتي وروحي على أوضتك يلا

سأل مهيطل: أختك دي ياعمدة؟

رد صميدة: أيوة.. اللي متبقيالي من الدنيا.

-ربنا يفرحك بيها يارب. (ثم لاحظ مهيطل محتويات الصينية فلمعت عينية قائلًا) أووووه.. جبنة قديمة.

قال صميدة لمهيطل: سمي الله يابن عمي علشان الشيطان ميكولش معاك.

فدخل عبد التواب في نوبة من الضحك فتعجب صميدة: بتضحك على ايه؟

فرد عبده: لا افتكرت حاجة كده بس متشغلش بالك.

بعد أن إنتهوا من الإفطار خرج ثلاثتهم يبحثون عن التوكتوك في أرجاء البلد،على عكس الليل تمامًا القرية تعج بالحياة والحركة وخصوصًا في منطقة السوق، كانت الحركة صعبة بعض الشيء بالنسبة لغرباء كعبده ومهيطل وعلى الأخص بعد أن استيقظت القرية على جثة الشاب المستديب.

صفر مهيطل في منتصف القرية فتوجهت العيون كلها نحوه بذهول، فهمس له صميدة: انت بتهبب ايه ياولد المسدوحة انت.

مهيطل: بصفر للتوكتوك علشان يظهر.

صميدة: ايه!

عبد التواب: إنسى ياريس.. هو نسي بس إننا مش في القاهرة.

عاد ثلاثتهم خائبي الرجاء إلى بيت صميدة الذي اقترح عليهم أن يقضيا تلك الليلة ايضًا معه فقال مهيطل: كده بنتقل عليك جامد.

قال صميدة: ولا بتجلوا ولا خاجة، النهاردة البدر لسه كامل بس انا مش هخرج بعد اللي حصل امبارح وهفضل معاكم، وبكرة هوديكم أقرب جسم يسعدوكوا.

أرعبتهما سيرة القسم، لكن لم يمتلكوا من الحلول الكثير، هي ليلة أخرى بصحبة صميدة وفي كنف المستذئبين.

مع حلول الليل لم يخرج صميدة من المنزل كما اتفق معهما، وصعد إلى غرفة اخته يطلب منها تجهيز العشاء لهم، بينما بقى مهيطل وعبده في غرفة الاستقبال يبحثون عن حل لتلك الأزمة.

قال مهيطل وسط حديثهما: أنا في فكرة بنت حرام عمالة تزن في دماغي.

عبده: ايه هي؟

-تخيل لو أقرب حد ليك مستذئب وانت متعرفش، كل أهل البلد أكيد عايشين في حالة رعب من بعض بسبب الفكرة دي، أصل كده كده مش هيبان الموضوع ده غير لما تلقيه بيهاجم عليك في تلت أيام البدر.

تمتم عبده: وممكن متعرفش اصلًا لو انت مبتبقاش موجود وقتها.

فكرة مرعبة طرقت عقل عبده وقتها، الحجر الذي ألقاه على عين المستذئب ليلة البارحة، وعين أخت صميدة المتورمة!

قطع أفكارهما صرخة صميدة وصوت عواء ذئب!.. جرى الإثنان نحو صوت

صميدة ليجدوه واقع على الأرض والصدمة تجتاح ملامح وجهه وأمامه باب غرفة أخته مفتوح!

سأل مهيطل: حصل ايه؟!

وكانت من صميدة الإجابة التي توقعها الإثنان: اختى طلعت ملعونة.

سأل عبده: طب هي فين؟

رد صميدة: نطت من الشباك.. بس قبل ما تنط سابت لي ده.(رفع صميدة ذراعه أمام عيني عبده وهيطا ففزع الإثنين لدى رؤيتهما للخدش التي تسببت فيه الأخت في ذراع أخيها)

-انت كده بقيت منهم(قالها عبده بخوف فأسرع صميدة يقول)

-لسه.. اللعنة مش سريعة اكده.. أول تحول ليا هيكون البدر الجاي.

استند على مهيطل وقام عن الأرض وهو يقول: خلاص كل حاجة ضاعت، لازم أخلص عليها وعليّا من بعدها.

قال مهيطل: هنخرج معاك.

رد عبده بعينين متسعتين: انت عبيط!

-صدقني دي فرصة كويسة إننا نلاقي التوكتوك وصميدة معانا.

خرجوا جميعًا من البيت يتقدمهم صميدة بوتده الفضي أو كما يسميه الخازوق، وراحوا يسيرون وسط الظلام والبيوت الخائفة بينما جسد عبد التواب يرتعش، إلى أن اصطدموا بأول مُستذئب.

-هي؟!(تمتم بها صميدة)

-لأ مش هي ياريس(أجابه عبد التواب)

-وانت تعرف اختي منين؟!(سأل صميده والشرر يتطاير من عينيه)

-ياريس أنا خابط اختك بحجر لما كانت بتجري ورانا.

-خبطت أختي!.. ده ليلة أبوك زرقة.(ورفع الوتد في وجه عبده)

قال مهيطل: ياعم متبقاش صعيدي قفل.. كانت هتأكلنا ساعتها.

قطع حوارهم صوت المستذئب القادم نحوهم فجرى المدعوقين عبد التواب ومهيطل بينما وقف صميدة ليواجهه.

أثناء جريهما قال عبده لمهيطل: لاحظت اللي أنا لاحظته.. ها.. صميدة سوالفه ودقنه كبروا فجأة.

رد مهيطل: أحيه.. تقصد إنه غلط وإن اللعنة اتمكنت منه؟

-لازم نلاقي الزفت تكاتك بسرعة.

صَفر مهيطل عدة مرات لكن بلا فائدة، ظلا يدوران في البلد بحثًا عن تكاتك إلى أن إلتقيا بها، كانت تزمجر وهي تنظر لهما وكل آيات الشر تنطق بها عينه المتورمة.

حاولا أن يستديرا ويهربا لكنها قفزت من فوقهما لتعترض طريقهم من الجهة الأخرى، ثم عوت لتنادي أصحابها من المستذئبين، قبل أن تبدأ في الاقتراب منهما ببطئ.

قال ببطئ: اكتم نفسك واوعى تبينلها إنك خايف.

رد مهيطل بلهجة هي مزيج بين السخرية والرعب: يابني هي كلبة في الشارع هتشم ريحة الخوف.

أشاروا إلى بعضهما إشارات صامتة كي يجري كل منهما في طريق مختلف حتى يشتتانها وقد كان، توقفت للحظات تفكر وراء أيًا منهما ستجري إلى أن قررت الجري وراء مهيطل، لم يعرف عبد التواب كيف يتصرف وعلى الأخص حين لمح من بعيد مستذئب أخر قادم نحوه، فتابع الجري والدعاء على مهيطل الذي أقحمه في كل هذا.

لكنه فجأة سمع صوت سقوط المستذئب خلفه فأدار رأسه بسرعة ليجده

قد تعثر في شيء ما غير مرئي وفقد الوعي فنطق عبده بشكل تلقائي: التوكتوك!

شرع ينادي بأعلى ما تملك حنجرته على هيطا: لقيت التوكتوك.. لقيته.

لم يعرف مهيطل حينها أيفرح أم يفزع بسبب الوحش الذي يلاحقه ويكاد يفتك به في أي لحظة.

صاح عبد التواب: يابني انت جني.. افتكر بتعرف تعمل ايه.

وكأن مهيطل كان يحتاج لمن يذكره بذلك، فقال وهو يجري: إذا كنتي انتي مستذئبة فأنا جني.

وقبل أن تفتك به أخت صميدة المتحولة اخترق مهيطل جدار إحدى البيوت بينما رشقت هي في الجدار ليُغطي وجهها شلال من الدماء وتفقد الوعي.

ما هي إلا لحظات حتى ظهر مهيطل من جديد بجوار عبده وقال:

-كده ياسطى احنا الاتنين علمنا عليها.

-طب يلا نهب من المكان ابن المستذئبة ده.

راحوا موقع التوكتوك المخفي ودخلا فيه وأعاده مهيطل إلى وضعية الإظهار، ثم بدأ مهيطل في ضبط العودة إلى الوطن، وقبل أن يُفتح الممر الجحيمي أمامهما ظهر أمامهما مسخ أخر، لكن تحوله ليس كامل، يمكن من ملابسه والخازوق الفضي المدرج بالدماء في يده أن استنتاج هويته.

-صميدة!(خرجت من عبده)

-تحوله شبه اكتمل.. وجاي ينتقم لاخته.

بدون أي مقدمات قفز نحوهما، أغمض الإثنان عينيهما بشكل تلقائي للحظات لكن لم يحصل شيء!

فتح مهيطل عينيه ونظر نحو صوت العواء فوجد أن صميدة قد تجاوزهما

ليطعن مستذئب أخر كان على وشك ان يفتك بهما من الخلف، أخت صميدة نفسه.

بعد أن غُرز الخازوق في قلبها عادت لهيئتها البشرية، فراح أخاها صميدة نصف المتحول يلعق وجهها بلسانه وقطرات الدمع تلمع في عينيه تحت ضوء البدر.

تأثر مهيطل بالمشهد وكاد يبكي لولا أن نبهه عبده: مفيش وقت يا مهيطل، الباشا ده ممكن يتحول علينا دلوقتي، خلينا نسيب المكان ده بسرعة.

تدارك مهيطل نفسه وقال: الهولا دوبا لاما ياصاحبي.

وفُتح الممر الجحيمي، وما هي إلا لحظات قبل أن يختفى التوكتوك براكبيه داخله، ليتركوا خلفهم صوت عواء الأخ المجروح إلى الأبد.

*****

في زقاق ما بحي المطرية، وبعيدًا عن أعين البشر ظهرت فتحة دائرية من العدم تخرج منها ألسنة لهب متنوعة الألوان، خرج منها توكتوك يقوده جني أصفر وإنسي أحمق، ثم أختفت في العدم من جديد.

-الليل ليل.. احنا طولنا المرة دي.(كان هذا أول ما نطق به مهيطل)

-عارف ياسطى.. بيقولوا إن الحمار هو اللي بيقع في الغلطة مرتين.. وأنا متعلمتش من أول مرة وطوعتك في السفرية السوداء دي.. مظلمتنيش عمتي لما قالت عليا حمار.

أفصح عبد التواب عن أفكاره تلك بينما هو ممدد على أريكة التوكتوك الخلفية، فصرح معيطل باقتراح:

-بقولك ايه.. في مشوار ضروري لازم نعمله.

قال عبد التواب بامتعاض: والله مأنا رايح معاك مشاوير تاني، أنا هموت وأنام ياعم.. مش كفاية مطلعتش بجنية النهاردة.

تكلم مهيطل بنبرة المظلوم: ياسطى مش مشوار من المشاوير دي..ده احنا هنروح نزور واحد صاحبي في مقابر الصدقة.

-الله يرحمه.. لا نروح طبعًا

قالها عبده في آسى بالغ فضحك مهيطل بينما تعجب عبد التواب من ردّت فعله، قبل أن يدير هيطا المحرك ويتحرك التوكتوك بسرعة جنونية نحو المقابر!

حين وصلا إلى الهدف المنشود رَكَنَ مهيطل التوكتوك بجوار المقابر بالخارج ثم بدأ المسير بين أحواش الموتى، الظلام يُغطي كل شيء وسكون أعطى لعبد التواب شعور بأنهما أخر مَن تبقى على الأرض.

-ايه الهِو ده؟!.. انت مودينا فين أنا خايف.(سأل عبد التواب وهو لا يكف عن الإلتفات)

-يابني اهدى على رزقك.. انت حد غوط بيك في التراب وانت صغير وقالك تعالى أوريك المصاصة.. ولا انت ايه نظامك؟!

-ياعم مفيش حاجة.. هو بس المكان ليه رهبته مش أكتر.

-أمال هتعمل ايه لما نبدأ سهرتنا؟

وصلا إلى ساحة وسط المقابر يملأها الضباب، مشيًا وسط الضباب فظهر وسط الظلام بيت صغير أو غرفة إن شئت الدقة اتقدت بجوارها نيران للتدفئة، ويجلس بجوار بابها الموارب رجل في الستين أسمر البشرة يحيط وجهه لحية رمادية خفيفة، ويرتدي جلباب أسود، مع عمة بيضاء تعلو رأسه.

دخل مهيطل على الرجل وبادر بالتحية:

-السلام عليكم يا حاج على.

صُدم عم علي وقال: ياااااه.. مهيطل.. عاش من شافك ياض انت غطسان فين!

رد هبطا: معلش والله ياعم علي دي حكاية طويلة أحكهالك بعدين.

تعجب عبد التواب الأمر:

-ايه ده؟!.. هو شايفك زاي مأنا شايفك كده عادي؟!..

ابتسم مهيطل وعم علي قبل أن يقول الأول:

-أماااال!.. ده عم على.. أشهر تُربي في مصر.. ده اللي لما حد في الإذاعة أو التلفزيون يحب يعمل لقاء في الترب أو يسمع قصص عن الميتين بيجوله.. تقدر تقول إنه المُتحدث الإعلامي باسم ترابية مصر على السوشيال ميديا.

قال مهيطل بانبهار:

-طبعًا عارفه.. هو في حد في مصر ميعرفش عم على التربي.. ده مكسر الدنيا بحكاياته على اليوتيوب.. هو وعم محمد وعم محسن.. مكسريين الدنيا والله.

-تسلم ياحب.. خد قلوب(رد عم علي على مدح عبده)

عرف مهيطل عبدالتواب قائلًا: ده بقى يبقى صديقي البنآدم عبد التواب.. وبلاش تعرف اسم أبوه وادعيله بالرحمة.

رحب بهما عم علي وصب لكل واحد منهما كوب من الشاي المغلي فوق نار السبرتاية قبل أن ينضم إلى مجلسهم مشمش ابن الأحمر صديق هيطا فقال الأخير موجهًا كلامه لعم علي:

-بقولك يا عم علي.. ما تستغل الجمع ده وهات شيشتك وحجرينك.. وأقعد احكيلنا شوية حكايات من بتوعك.. وحشتني قصصك بصراحة.

رشف عم علي رشفة من الشاي ثم قال: وماله.. انتوا عددكم أربعة كويس أوي.

تعجب عبد التواب للمرة الألف اليوم وهمس في أذن مهيطل:

-أربعة إزاي؟!.. احنا تلاتة وبيه نبقى أربعة!

رد مهطيل: لأ يا عم أربعة، أنا وانت ومشمش و مالولومبا.. يبقى أربعة.

-هيلاهوبا مين؟(سأل عبده)

-مالولومبا.. بص جنبك.

نظر عبد التواب إلى المقعد الفارغ بجواره فرأى السواد يغطيه، ووسط الظلام لاحظ وجود عينين شديدتا البياض يحدقان به.. هناك شيء ما يجلس بجواره!

تشبث عبده بملابس مهيطل من الذعر فقال الأخير:

-متخفش يا عم.. ده مالولومبا الزنجاوي.. جني من بوركينافسو الشقيقة.. بس حاليًا مُقيم في القاهرة

قام عم علي ليُحضر الشيشة ثم رصّ فوقها أحجار الفحم والمعسل قبل أن يأخذ نفسًا من الشيشة: - تحبوا نبدأ بايه؟.. بحكاية سحرة يوم11/11.. ولا بحكاية الأعمال اللي بتدفن مع الموتى؟

وكانت تلك شرارة بدء حكايات القبور.

(10)
حكايات القبور(1) :حداشر حداشر

يحكيها: عم علي

الليل اللي ملوش أخر.. بيخوفني ع الأخر.. وبحس بواحد جنبي عمال بيقولي إتاخر.

-هاني عادل - وسط البلد

*****

-السلام عليكم يا حاجة، جيت لك أهو من بدري علشان أسمع.

دخلت إلى الشقة فوجدتها جالسة على الأريكة كعادتها لكن على غير عادتها ترتدي الأسود من أعلى رأسها إلى أخمص قدميها، وهالة من الحزن تحيط بها، ولاحظت في يديها بعض الصور الفوتوغرافية القديمة.

-مالك ياحاجة.(سألت بحذر)

-إزيك يا حموكشة، مفيش حاجة النهاردة سنوية أبو شريف الله يرحمه.

-الله يرحمه.

-أدخل أقعد يابني.

انسحبت إلى الخارج وأنا أقول: لا أسيبك النهاردة وأجي يوم تاني.

أسرعت تقول: لا خليك أنا كويسة أقعد بس عيزاك.

ترددت قليلًا قبل أن أدلف للشقة وأجلس أمامها دون أن أنطق، قبل أن تتكلم هي فجأة:

-عارف من ساعة ما أبو شريف مات وشريف هج من البلد وأنا مليش غير

عبد التواب، هو الوحيد اللي فضل من أهلي. شايف الصورة دي(مدت يدها نحوي بصورة، فأمسكتها وأمعنت النظر فيها كانت لطفلين: طفل رصين يقف يثبات وينظر إلى الكاميرا وهو يبتسم، وطفل آخر واقع على مؤخرته ويتألم) استطردت ده شريف والواقع ده عبد التواب بعد سنة من موت أبوه وأمه، حاول يقف على رجل واحدة في الصورة دي ووقع أصريت إني أحتفظ بيها.

سألتها بفضول:

-طب هو فين؟ نفسي أسألك السؤال ده من أول حكاية حكتهالي.

ابتسمت فجأة وهي تتناول الصورة من يدي وقالت:

-ده يرجعنا لحكايتنا، قدام هتلاقي إجابة للسؤال ده.

ابتسمت: أحب أنا التشويق ده، أعملك قهوة؟

-ماشي بس متنساش اعملها..

قاطعتها: في مج.. مش ناسي.

*****

بدأت حكايات القبور:

نظر عم علي التربي في عيون الجالسين حوله وسط المقابر؛ مهيطل، عبد التواب، مشمش، مالولومبا وقال بصوت حاول أن يجعله خافض ومرعب:

- 11/11 من أهم الأيام عند السحرة في العالم كله؛ اليوم ده بيتكرر كل ألف سنة يمكن يبقى بالنسبالك يوم عادي جدًا بيعدى عليكم من غير ما تحسوا بيه.لكن بالنسبة لتربي خبرة زي حالاتي.كان صعب إن اليوم ده يعدي من غير ماتحصل فيه حاجة مرعبة.

سكت عم علي ليأخذ نفسًا من الشيشة: كركركركركركرك.

سعل بعدها قليلًا قبل أن يُتابع..

في صباح هذا اليوم أتاني بينما كُنت أشرب «الاصطباحة» شاب في العشرين من عمره، وطلب مني أن أسمح له بأن يقضي الليلة وسط أحواش الموتى لعمل بعض طقوس التحضير والتواصل مع العالم الآخر، وعلل ذلك بأن اليوم هو 11 نوفمبر عيد مهم للسحرة حول العالم، فسألته:

-واشمعنا هنا يا باشا؟!

رد بحماس: علشان معانا ساحر أجنبي من بلاد بره هو اللي رشح لنا المكان ده وقالنا إن المقابر دي مبنية فوق فتحة للعالم الآخر وإن المكان مليان قوة سحرية.

فكرت قليلًا ثم قلت بينما أفرك أصابع يدي أمامه: طب المصلحة؟

رد بفهم: الفلوس يعني؟ متقلقش كل اللي إنت عايزه، بقولك خواجة.

أعرف أن السحر مُحرم وأن ما يريدون أن يفعلوه فيه انتهاك لحرمة الموتى، لكني وافقت لا تتعجبوا قراري، أنا لم أوافق لأجل المال هناك أشياء أخرى أهم من المال بالنسبة لي. سلمت على الفتى واحتضنته وسط حالة من الدهشة من جانبه، ثم رحل على وعد أن يعود مع أصدقائه ليلًا.

في تمام الساعة العاشرة مساءً ألفيت الفتى يُطل عليّ من بين أحواش الموتى وبرفقته اثنين من الشباب في مثل عمره بينهما فتى يتميز بشعره الأشقر وعينيه الزرقاوين، رحبت بهم وأخبرني الفتى الذي اتفق معي صباحًا أن صديقهم الأشقر هذا هو الخواجة الذي حدثني عنه، وأن والدته مصرية الأصل لذلك يستطيع التكلم بالعربية المكسرة، رحبت به فرد التحية:

-أهلًا وسهلًا ياهج

شعرت أن طريقته في الكلام مصطنعة لكني لم أهتم، اتفقت معهم على مبلغ محترم، فأمرهم الخواجة أن يدفعوا لي مؤقتًا، سلمت عليهم مرة أخرى وفي تلك المرة احتضنت الخواجة فتعجب من تصرفي. تركتهم يقومون بطقوسهم في مكان فسيح وسط القبور وذهبت أنا لتأمين المكان لهم، أخرجوا من

حقائبهم عباءات سوداء وارتدوها، ثم أخرجوا شموعًا سوداء كبيرة، وراحوا يرصونه صانعين حولهم دائرة من الشموع، شرعوا بعدها يرسمون بعض الرموز الغريبة داخل تلك الدائرة باستخدام شيء يُشبه الدقيق أو الأسمنت الأبيض، قبل أن يجلس ثلاثتهم وسط الدائرة وبينهم كتاب قديم وضخم كالمجلدات.

اقتربت منهم وأنا أمد يدي بهاتف نقال وأقول:

-لامؤخذة ياباشاوات معلش التلفون ده وقع من حد فيكم باين.

أخذه مني الفتى الخواجة وهو ينظر لي في ريبة قبل أن يشكرني وعادوا مجددًا لإكمال طقوسهم، انهمك الخواجة في الهمهمة بكلمات غريبة وراح الشابان الآخران يرددانها وراءه، وجلست أنا أراقبهم من بعيد مُنتظرًا أن تأتي الساعة الحادية عشر.

-دامو ستيري.. دي يا سيتي.. بالو نيا.. بالو نيا.. بيحوق أبراكسيس.. بيحوق أزازل.. بالو نيا.. بالو نيا.

فجاءة بدأ أحد الشابان يقرأ من الكتاب القديم أمامهم شيء كالنداء بصوت عالٍ:

-أيتها القوى السوداء.. القابعة في صدورنا..اغدقي علينا من عطاياك.. ولينمحي الحاجز بيننا وبينهم.. بتقبل تضرعنا قربانًا.

ضرب البرق السماء حينها فأعمى ضوؤه الأبصار وأصبح المشهد مهيبًا، نظرت إلى ساعتي فوجدتها الحادية عشر تمامًا فابتسمت متمنيًا أن تسري خططي كما هو مُقدر لها.

هنا!! دوى وسط المقابر صوت أجش ومخيف وقال:

-تضرع إيه اللي عايزنا نقبله قربان يا حيلتها إنت وهوَ؟! إحنا لأزم ناخد واحد فيكم كقربان.

فُزع الشباب الثلاثة بما فيهم الشاب الأشقر وكأنهم لن يتوقعوا أن يستجيب لهم شيء، كان أحدهم على وشك أن يفر خارج دائرة الشموع قبل أن يصرخ فيهم الصوت:

-أي حد هيخرج بره الدايرة هحرق ميـ*** أمه.

زاد الرعب في عيونهم وتسمر ثلاثتهم داخل الدائرة وأجسامهم ترتجف من شدة الفزع، ثم قطع كل هذا صوت سيدة تصيح آتي من خارج المشهد:

-ياض ياربيع، عملي فيها خواجة وجاي تنصب ع العيال الغلابة دول يا روح أمك ومفهمهم إنك هتعلمهم السحر وأنت معكش ابتدائية، مهو المعفن معفن مهما صبغ وحط لنسيز، وربنا لأقول لأبوك.

صُعق الفتى الأشقر(ربيع) ونسى خوفه من الصوت المرعب وقال:

-أنا كنت بقلب عيشي بس ياامه، سماح والله ما هعملها تاني بس متقوليش لأبويا.

اقتربت أكثر واخترقت دائرة الشموع ثم سحبت الفتى من قفاه إلى خارجها وهي تقول:

-وكمان سارق عباية أبوك اللي بيصلي بيها الجمعة، عارف لو مبطلطش الوساخة إلي إنت فيها دي هجيبلك أبوك المرة الجاية ومعاه الحزام الأسود أبو توكة استلس.

غادرت المرأة بولدها النصاب وسط علامات الدهشة والصدمة من الشابين الآخرين، بينما الصوت المخيف يصيح:

-خُدي يا ولية هنا رجعي القربان متبوظليش الطقوس، إنتي يا ولية طب خلاص يبقى هاخد حد من الاتنين دول.

بمجرد أن سمع الشابان الجملة الأخيرة أسرعا بالفرار من المكان، صرخ الصوت فانطفأت الشموع بينما أنا أدبدب على الأرض بقدماي من كثرة

الضحك.

بعد أن انتهيت من الضحك ناديت على الرجال الذين اتفقت معهم على هذه التمثيلية فلم يردوا عليّ! بحثت عنهم فلم أجدهم وكأنهم فص ملح وذاب.

قال مشمش بعد أن انتهى عم على من الحكي:

-يابن الإيه يا عم علي بقى أنت اللي عامل حوار الصوت ده والدنيا دي كلها؟

فقال مهيطل بلهجة وضح فيها التطبيل:

-أمال إيه يا بني، عم علي ده أسطورة مدفونة في التراب. ده المفروض يعملولوه تمثال في الأوبرا زي عبد الوهاب كده.

شد عم على نفسًا من الشيشة وقال:

-والله أنا قلت أكسب فيهم ثواب لما حضنت الواد الأولاني قلبت محفظته وعرفت عنوانه وشوية تفاصيل عنه واتفقت مع الرجالة صحابي شغالين في الأفراح وقلت نتسلى شوية، أصل 11نوفمبر ده عيد ميلادي وفي العادة مبحتفلش بيه فقلت أروش في اليوم ده.

قال عبد التواب: ألف كل سنة وأنت طيب يا عم علي عقبال 100 سنة، بس الولية أم الواد النصاب ده جت منين؟

شدّ عم علي نفسًا أخر قبل أن يقول: أنا اللي جبتها، مأانا لما شكيت في الواد الخواجة ده قلبت منه الموبيل وطلعت منه رقم كان مكتوب عليه الحاجة ورجعتهوله تاني اتصلت بيها وقلتلها تيجي تلحق ابنها.

سأل مهيطل: طب الرجالة بتوعك راحوا فين؟

ابتسم عم علي: مهي دي بقى التوستاية رنيت على الرجال تاني يوم الصبح أشكرهم على الشغل العالي وأسألهم هما مشيوا ليه علطول وكانت صدمتي لما عرفت إنهم معملوش حاجة وإنهم طلعوا يجروا أول ما سمعوا الصوت ده.

-هاااااااااار أسود، يعني الاشتغالة طلعت بجد؟(قالها مشمش مصدومًا)

-الحكاية دايمًا كده، اللعب مع العوالم التانية دايمًا ملهوش قواعد.

التفت الجميع نحو الصوت الغريب الذي تكلم للتو فوجدوه شاب يرتدي بالطو طبي أبيض يقف بجوار عم علي.

-دكتور عماد! إزيك يا راجل بقالك فترة مابتجيش تقعد معايا.

رحب عم علي بالشاب وأجلسه على كرسي خشبي كان بجواره فلاحظ عبد التواب شيئًا مفزعًا، هذا الفتى ليس طبيعي بالمرة إنه يستطيع رؤية ظهر الكرسي الذي يجلس عليه هذا الشاب من خلال جسده! وكأن جسده شفاف!

لاحظ عم علي نظرات عبده المندهشة للدكتور شريف فقال:

-ده دكتور عماد طالب في كلية طب قعد فيها عشر سنين لكن الحظ ما أسعفهوش ومات قبل ما يخلص دراسته وادفن عندي هنا ابن حلال بيطل عليًا من وقت للتاني.

رفع دكتور عماد يده بالتحية فقال مهيطل لعبد التواب الذي غزت الصدمة ملامح وجهه محاولًا تلطيف الجو:

-مش حارمك من حاجة أهوه، جن تلاقي بني آدمين تلاقي، أشباح ميضرش.

سأل مشمش الدكتور عماد بحماس: ألا صحيح يا دُك، مش قصدي الدك اللي بيهوهو أنا قصدي دُك اختصار لدكتور يعني هو إنت مُت قضاء وقدر يعني ربنا خدك، ولا اتثبت ع الدائري وخدوا فلوسك وبعد كده دبحوك.

لم يمهل مهيطل دكتور عماد الوقت ليرد وأسرع يقول:

-ياريت لو عندك حكاية تحكهالنا يادكتور متقوليش إنك جاي تقعد سميع بس.

فكر عماد قليلًا قبل أن يرد:

-لا هوَ في حكاية بس يسمحلي عم علي الأول.

أشار له عم علي بالسماح فبدأت الحكاية الثانية.

حكايات القبور(2) :البالونة الحمراء

يحكيها: عم د.عماد

كأي طالب في كلية الطب البشري تكون أغلب معاملاتي مع الجثث والهياكل العظمية، عادة أعتمد على أصدقائي وزملائي في الكلية لإحضار العظام التي سندرس عليها سويًا أو ما شابهها من أشياء، لكني كُنت أعلم أن هذا الوضع لن يستمر للأبد، سيأتي اليوم الذي يُطلب فيه مني أن أتعامل أنا مع هذه الأمور، لكن أفزع شيء تخيلته أن يُطلب مني إحضار جمجمة أو عظمة فخذ.. لكن جثة كاملة! كُنا نحتاج إلى جثة كاملة لدراستها وتشريحها، وراح الكل يتهرب من هذه المسئولية ليلقيها على كاهل الآخر، وكان الاقتراح الذي حسم الجدال أن نقوم بعمل قرعة عن طريق السحب، من يسحب الورقة التي تم تمييزها سابقًا يكون هو المُختار لتلك المهمة، ولكم أن تستنتجوا كُنت أنا سعيد الحظ الذي سحب تلك الورقة، ولم يعد هناك مفر لي من إحضار الجثة ونقلها بعربتي من المقابر إلى شقتي.

في اليوم التالي توجهت إلى تربي يُدعى عم إمام يُعتبر هو المُصدر الأول للجثث بالنسبة لطلبة كليات الطب، إلى الدرجة التي تجعلنا نعتبره شركة ونطلق عليها «عم إمام لاستيراد وتصدير الجثث» اتصلت به وبلغته بقدومي فطلب مني أن أذهب إليه في تمام الساعة الواحدة بعد مُنتصف الليل، بالفعل حضرت في المعاد المُتفق عليه وقطعت طريقي وسط المقابر ووحشتها إلى أن وصلت إلى غرفته، لأجده واقف في انتظاري، ألقيت عليه التحية وقبل أن أقول أي شيء قال:

-شششششششش حصلني.

حمل عن الأرض «أجَنّة» مُدببة ومطرقة ضخمة وسار بتؤدة في اتجاه أحد القبور فتبعته توقف عند قبر يبدو أنه فُتح من مدة

قريبة، طلب مني أن أنير له موضع عمله بالكشاف الصغير قبل أن يشرع في كسر الأسمنت الذي يُغطي فُتحة القبر بواسطة الأجَنّة والمطرقة، بعد أن انتهى من تلك العملية نزل إلى جوف القبر المُظلم، وأنا أنتظر أن تخرج من القبر في أي لحظة يد مخلبية لشيطان وتسحبني إلى الجحيم، فجأة خرجت من ظلمات القبر رأس!!! تراجعت إلى الخلف من شدة الصدمة قبل أن أدرك أن صاحب الرأس ليس سوى عم إمام التربي يحمل فوق كتفة قطعة ضخمة من القماش المُتسخ، لم يحتج مني الأمر سوى لحظات حتى أدرك أن هذا القماش ليس سوى الكفن الذي يحوي الجثة التي جئت لأجلها. وضعها عم إمام على الأرض وأعاد القبر إلى حالته التي كان عليها وغطاه بطبقة أخرى من الأسمنت، ثم طلب مني أن أرشده إلى موضع عربتي التي سأضع الجثة في حقيبتها. بعد أن انتهى الأمر مد يده ليّ قائلًا: فين الفكة؟

ناولته المبلغ الذي سبق واتفقنا عليه في مكالمتي له في الهاتف فقام بعدهم قبل أن يدسهم في جيب جلبابه وهو يقول: يكون في علمك أنا مبطلعهاش بالسعر ده بس إنت علشان أول مرة تتعامل معايا وأنا بحب أشجع الطب والأطباء.

ثم ابتسم فظهرت أسنانه الصفراء النخرة. لم أعلق أسرعت أركب سيارتي وخرجت من المقابر بسرعة وهناك إحساس ينتابني بأن العالم كله يراقبني ويعرفون ما تحوية حقيبة السيارة الخلفية.

وبينما أنا منهمك في القيادة والعرق يُغرق وجهي سمعت صوت شيء يتحرك في حقيبة السيارة! إنه التوتر.. التوتر ليس إلا، هذا ما أقنعت نفسي به، قبل أن أسمع صوت ضحكات تأتي من خلفي! أوقفت السيارة على الفور ونظرت خلفي فلم أجد شيئًا، أخذت نفسًا عميقًا وحاولت تهدئة نفسي قبل أن أعود من جديد إلى القيادة، الطريق كان خاليًا أمامي ولا يسكنه شيء سوى الظلام، وبعض البالونات الملونة التي بدأت تظهر من العدم!

تجاهلتها في البداية ظنًا مني أنني مررت بالصدفة في مكان كانت تُقام به

حفلة ما أو ربما هي مسيرة لزفاف، لكن البالونات الملونة ظلت تتابعني، وراح عددها يكثر حتى أصبحت الرؤية تستحيل معها! حاولت أن أبتعد عنها لكن بلا فائدة، روحت أراوغ البالونات إلى أن أتاني صوت «زمارة» من خلفي ليصم أذني ويُحطم أعصابي ففقدت السيطرة على عجلة القيادة وانحرفت بي السيارة لتحتضن أضخم شجرة في الشارع، هنا أظلمت الدنيا تمامًا. استيقظت بعد يوم كامل لأكتشف أنني في المستشفى وحولي زملائي الذين كانوا ينتظرون الجثة وأبي وأمي.

كانت أطرافي مغلفة بخمسة عشر كيلو من الجبس والشاش الطبي، والألم يغزو كل جزء في جسمي، طمأنت أبي وأمي عليّ وطلبت منهم أن يتركوني مع زملائي، وبالفعل بمجرد أن خرج أبي وأمي انهمرت على رأسي الأسئلة:

قال واحد: ألف سلامة عليك يا دكتور شدة وتزول.

فقاطعه آخر: هيقوم يعم وييقى بمب المهم في الجثة يلا؟

فرد ثالث: مش يمكن ملحقش يجيبها ياعم.

وجهت كلامي لهم جميعًا: الجثة كانت في شنطة العربية يا رجالة.

رد أحدهم: مكنش في جثث قي العربية غيرك، العربية بقت خردة ولو كان فيها حاجة كان البوليس طلعها وحقق معاك ومعانا.

قلت متعجبًا: إزاي ياعم! الجثة كانت في العربية أنا متأكد.

علل أحدهم اختفاءها: يمكن حد سرقها بعد ما حصلت الحادثة، إنت كنت قافل شنطة العربية كويس يمكن وقعت في الطريق.

قطع حديثهما اقتحام الطبيب للغرفة وبرفقته ممرضة تشبة أي ممرضة يمكن أن تكون قد قابلتها يومًا وقال:

-إزيك يا دكتور، إنت اتكتبلك عمر جديد عندك بس كسر في دراعك اليمين وشرخ صغير في رجلّك الشمال وشوية كدمات في وشك وجسمك، لكن

متقلقش هتبقى كويس.

قلت في سري: واضح إن الواحد لازم يتعلم إزاي يقنع العيانين إنهم بخير رغم إنهم بيموتوا من الوجع زي حلاتي.

قرر زملائي أن يغادروا على أن يعودوا لي في الصباح وتركوني وحدي في المستشفى يومها، وكانت تلك الليلة أسوأ ليالي حياتي لا شيء معي سوى المحاليل والظلام.

قلقت من نومي ليلتها بسبب صوت الضحكات المتكررة، حين فتحت عيناي وجدت الغرفة غارقة في البالونات الملونة!!! شعرت أنها تضيق علي وتقيدني نفسي يضيق والبالونات تزحف فوقي، من وسط تلك البالونات التي راح عددها يزيد بسرعة ظهر ما لم أكن أتوقعه، شخص أشبه بالمهرجين اصطبغ وجهه بالأبيض وشعره بالأحمر، أما عن ملابسه فحدث ولا حرج، مهرجان ألوان لا نهائية، كان يضحك بهستيرية، هو مصدر الضحكات التي استيقظت على أثرها، رغم أن المشهد العام قد لا يوحي بالرعب إلا أنني كنت في قمة ذعري وهلعي، غير قادر على الحركة والهروب وأتعجب كيف لم تصل كل هذه الضوضاء إلى الممرضات في الخارج. أخرج ذلك الشخص أو الشيء «زمارة» من جيب ملابسه ونفخ فيها بقوة، قبل أن يقول وهو يبتسم ببلاهة: إزيك يا دكتور؟ ما تقوم تنفخ معايا.

راح يقفز في الغرفة كأرنب فقد عقله وهو يقوم بدهس البالونات وفرقعتها وهو يكرر بطريقة مرعبة:

أنفخ.. أنفخ.. أنفخ.. أنفخ.. أنفخ..

فجأة بدأت جميع البالونات في الانفجار واحدة تلو الأخرى، صوت فرقعة دام لحوال 30 ثانية فصمّت أذناي وأوشكت أعصابي على الانهيار، لم تتحمل أعصابي كثيرًا فأغمي عليّ من شدة الصوت.

في اليوم التالي استيقظت وأنا أشعر بصداع رهيب يكاد يفتك بي طلبت

من الممرضة أن تُساعدني عّلى النهوض من السرير، ثم أمسكت العكاز المعدني بيدي اليسرى السليمة واستندت عليه حتى أدخل الحمام، وقفت أمام المرآة، أنظر إلى وجهي المرهق قبل أن ألاحظ شيء غريب بالون أحمر يطفو خلفي! كان على شكل إنسان، ملفوف بتلك الطريقة التي يستخدمها مهرجي السيرك لإبهار الأطفال، روحت أنظر له مكتوم الأنفاس قبل أن ينفجر خلفي، نظرت إلى الخلف بشكل تلقائي ثم عدت أنظر للمرآة فوجدتني أنظر إلى ذلك المهرج المعتوه بدلًا من وجهي! ابتسم لي من خلال المرآة وقال: البالون الأحمر إشارة للموت، لسه مش عايز تنفخ معايا يا دكتور؟

جريت بسرعة خارج الحمام وأنا مُصر على مغادرة ذلك المشفى حالًا، اتصلت بأبي وأمي وأبلغتهم بقراري دون أن أمهلهم فرصة للاعتراض، دفعت حساب المستشفى عن طريق كارت الائتمان ووقعت على إقرار بمسئوليتي التامة عن حالتي، وهربت من تلك المستشفى باستخدام قدمي السليمة والعكاز. وأثناء محاولتي الهروب وبينما أعبر الشارع، أفلتت بالونة حمراء من قبضة طفل صغير وطارت نحوي، شعرت بالذعر منها وتخيلت وجه المهرج يضحك لي من خلالها، حاولت الفرار منها وقد تملكني الفزع ولم أعد أرى في العالم سواها، دخلت إلى طريق السيارات في نفس اللحظة التي فتحت فيها الإشارة، لم ينتبه سائق الحافلة لدخولي المفاجئ للطريق، ولم يكن لدي الوقت الكافي لأنتبه وأهرب كانت تلك هي النهاية بالنسبة لي.

*****

تنهد شبح الدكتور عماد بعد أن أنهى حكايته قبل أن يُعقب:

-بعد موتي عرفت ماهية المهرج ده، ده كان قرين الجثة اللي أنا خدتها من القبركان مهرج شهير اسمه طرقع، ولما حاولت انتهك حرمة راحته الأبدية حب ينتقم مني، وعملي فوبيا من البلالين وخلاني أروح لموتي برجلي. ع العموم أنا وهو حاليًا خلصنا حسابنا مع بعض وبقينا صحاب، ده أنا حتى جبته يقعد معانا النهاردة.

أشار دكتور عماد إلى المقعد المجاور لمالولومبا فوجدوا المهرج بنفس الصفات التي وصفها دكتور عماد يجلس على كرسي ويمد يده نحو عبد التواب ويقول بهدوء:

-تنفخ؟

همس مهيطل: دي القاعدة لمت فشخ.

خرج عبد التواب من حالة الدهشة التي كانت مسيطرة عليه وقال:

-إيه الألش ده يا جماعة، أنا محبتش القصة دي، ده حتى الجني الزنجي اللي كان قاعد هنا من شوية مشي من الزهق.

قال عم علي وهو يرص لنفسه الحجر رقم سبعة عشر:

- ممشيش ولا حاجة، هو بس تلاقيه مغفل شوية يا مالولومبا.

ناداه عم علي فظهرت عيناه البيضاوان وسط الظلام من جديد، فشهق عبد التواب، لكن ليس بسبب ظهور عيني مالولومبا بل لظهور جنيتين من العدم وسط المجلس، عرف عبد التواب أنهما جنيتين من ملامحهم الغير آدمية وألوانهما، فواحدة منهما حمراء والأخرى زرقاء.

-دول بقى شمس وقمر، كلمتهم يجوا يقعدوا معانا النهاردة علشان حكاياتهم الغريبة والعجيبة، وأهو بالمرة يطروا القاعدة شوية.

عرفهما العم علي بسرعة فقالت الاثنتان معًا في ذات الوقت:

-أكيد يا عم عليوة تحب نبدأ بإيه؟ آه نبدأ بحكاية....

سكتت الزرقاء التي هي قمر، وتكلمت الحمراء ذات الشعر الثائر والقرنين الرشيقين والتي هي شمس قائلة: نبدأ بحكايتي مع الأعمال الغرامية اللي بتدفن في جثث الميتين.

هكذا بدأت الحكاية الثالثة.. عن رسائل الحب والموت.

حكايات القبور(3) :رسائل الحب والموت

تحكيها: شمس

مَن يعرفني يعرف جيدًا ما هو عملي؛ أنا أسكن المقابر وأستقبل الأعمال التي تدفن مع الأموات، أقرأ الأعمال وأسعى أنا وفريق عملي لتحقيقها، بالطبع يمر العمل بعدة مراحل أولًا، ككتابته على يد ساحر بلغة مشفرة لا يفهمها البشر، ثم نقله إلى القبر عن طريق جسد الميت قبل أن أستقبله وأضع خطة لتنفيذه، الموضوع أقرب للمنظمة أو الشبكة. قاطع عبد التواب الحكاية مازحًا:

-شبكة دعارة هاع هاع هاع.

نظر له الجميع نظرات نارية جعلته ينكمش في كرسيه وتجاهلته شمس وتابعت.

نحن مجموعة من الجن من كل الأجناس والألوان نعمل تحت يد زعيم كبير مسئول عن مصر يدعي (صلال)، ويعمل صلال هو وباقي المسئولين في العالم تحت يد شيطان عظيم لا نعرف عنه شيئًا سوى أنه حفيد من أحفاد إبليس، المنظمة كبيرة ومتشعبة وتهدف إلى التدخل في حياة ابن آدم وإفسادها، لن أخبركم باسمها وسأكتفي بما أخبرتكم عنها حتى لا تتعرضوا للأذى، لكن ما من جني لم يسمع عنها، ولأقرب الصورة من البشر الجالسين معنا هي أشبه بكابوس الماسونية الذي يغزو عالمكم وربما تتصل به[1].

الدجالين في عملنا ذلك مجرد همزة وصل بيننا وبين عالم الإنس، فهم على دراية بلغتنا وبطريقة كتابة الأوامر والأعمال، أما أجساد الموتى فهي أشبة بصندوق البريد. قد يتسأل البعض ما الذي يجعلني أعمل في تلك المهنة

---

(١) كان نفسي أضيف لكم أي معلومات بس هي قالت كل حاجة
#معلومات___من___الأخر___عن___العالم___الأخر مع الحاجة أم شريف

المحرمة من قبل ملوك وحكام الجن رغم أنني من نسل الجن الأحمر؟! ببساطة لأن والدي قد مات وليس لنا عائلة أو عشيرة نحتمي في سلطانها، وهذا كانت أفضل فرصة أمامي وظيفة مريحة، توفر لي دخل ممتاز يمكنني من إعالة عائلتي بالكامل.

كنت أعمل في إحدى القبور التابعة لمنطقة دجال يُدعى (فراج)، عُرف عن فراج حبة لبنات الجن وعشقة لهم وزواجه من ثلاث جنيات سابقًا، لكني لم أهتم حاولت أن أتجاهل الأمر وأعمل بهدوء، لكن في أحد الأيام طلب منا رئيسنا المباشر أن نجتمع كلنا أمام فراج الدجال المسئول عن المنطقة ليتعرف علينا، على الأخص أننا كنا دفعة جديدة من الجنيات المستقبلات للأعمال، في ذلك اليوم راح يتأملنا بنظرة أعرفها جيدًا، نظرة لا تدل أبدًا على أنه جاء بنا لمجرد التعارف. في اليوم التالي من ذلك اللقاء وبينما أنا داخل حوش الموتى الذي يضم القبور التي تقع مسئوليتي عليها أكتب تقريري عن آخر مهمة قام فريقي بتنفيذها، وصلت القبر جثة لسيدة عجوز بمجرد أن رحل المُعزين تفحصت الجثة لأجد بداخل فمها عمل فتحت العمل بسرعة وكلي حماسة لأجد أغرب رسالة قرأتها في حياتي.

« ما تيجي يا جنية ونجيب سنية»

تعجبت كثيرًا نص الرسالة المختصر وفكرت في تفسيرين له، إما أنها مرسلة بالخطأ، أو إن هذا الرجل يغازلني! تجاهلت نص الرسالة وتابعت كتابة تقاريري، حين جن الليل عدت إلى منزلي وأتيت في الصباح لأجد أن جثة السيدة التي كانت في القبر البارحة قد سُرقت، هذا طبيعي فعم صلاح التربي صاحب ضمير ميت، لكن ما شغلني حين وصلت هو وجود جثة جديدة انضمت لقبر الرجال فلقد حملت تلك الجثة في طياتها عمل آخر، لكني لم أجدها في فم الجثة هذه المرة وأفضل أن لا أفصح عن مكان تواجد العمل في الجثة.

كان العمل عبارة عن قرطاس صغير فككته لأجد بداخله كارت ذاكرة

من كروت الهواتف الذكية! خمنت أن هذا أسلوب جديد كتابة الأعمال، وتوقعت أن أجد العمل مدونًا في ملف word أوbdf وقلت في سري:» هي التكنولوجيا وصلت للسحر والأعمال بكرة يبدلوني بجني آلي أو يعملوا مكنة تنفيذ أعمال مُميكنة»

بحثت عن هاتف نقال وضعت به كارت الذاكرة، وبدأت أتفحص محتوياته فلم أجد سوى ملف كُتب عليه «كوكتيل منوعات»! فتحته فوجدت العديد من الأغنيات المعروفة في عالم البشر من بينهم أغنية استوقفني اسمها الغريب (الأساتوك) فتحتها وفوجئت بما سمعت.

(إيه الأساتوك ده.. اللي ماشي يتوك ده.. إيه ورد الجناين ده.. اللي يصحي النايم ده)

تأكدت من غرض هذا الرجل ولم يعجبني أسلوبه أبدًا لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فلقد أرسل مع عم صلاح عمل خاص ليرميه داخل القبر، وفي العمل كُتب الآتي:

آه يا جنية، يا شبه المهلبية

ما تيجي عندي، وأخلي أيامك هنية.

آه يا جنية، يا أحلى من العسلية.

ما تقربي هنا، محتاج شوية حنية.

آه يا جنية، آه يا جنية.

كان هذا أسوأ شعر قد قرأته في حياتي لذلك قررت أن ألعب بقذارة، اتصلت بشندويلي واحد من الجن الأزرق يتمنى لو يرتبط بي وحكيت له عن فراج وما يفعله، فوعدني شندويلي أنه سوف (يفشخ) فراج لأجل أن أقبل به، وبالفعل تمكن شندويلي بمعاونة أصدقائه من جعل فراج ينتحر بإرادته الحرة. سكتت شمس فعرف الجميع أنها أنهت حكايتها فسألها عبد التواب:

-واتجوزتي شندويلي.

أجابت شمس: لا، سبت الشغل وارتبطنا شوية قلبت حياته نكد لحد ما قعد يتحايل عليا علشان نسيب بعض.

فهمس مهيطل لعبد التواب: كانت عجباني بصراحة بس أنا حاليًا خايف.

قال عم علي مدير الجلسة:

-طب بالنسبالك يا قمر؟ عندك حكاية؟

رغم أن شمس تبدو أكثر قوة وجمالًا بنظراتها الواثقة وشعرها الأحمر الثائر الذي تخرج منه قرونها الرشيقة، إلا أن قمر كانت ذات جمال خاص، هادئ وجذاب، مع ذيل ولون أزرق مبهج للروح، وشعر بلون سماوي مميز مما جعلها محبوبة أكثر من شمس:

-معنديش حكايات مثيرة أوي مرتبطة بالمقابر، بس ليّا حكايات قريبة من حكاية شمس أنا شغالة نفس شغلانتها ممكن أحكيلكم حكاية من حكاياتي في الشغل.

نظرت في عيون الجميع تتأكد من إنصاتهم وتستشعر درجة ترقبهم، قبل أن تبدأ حكايتها.

حكايات القبور(4) :الربط

تحكيها: قمر

أعمل في نفس الوظيفة التي تعمل بها شمس وتعرفت على شمس عن طريق تلك الوظيفة المشئومة، الحكايات التي تمر علينا في هذه المهنة كثيرة جدًا، والحكاية التي سأحكيها الآن هي مثال على نوعية المهام التي نمر بها.

في أحد الليالي بينما الملل يقتلني داخل حوش القبر الذي أعمل به، دخل عم سعيد التربي التربة والتوتر يكاد يقتله، ثم أخرج من جيب جلبابه عمل سحري، وقام بدفنه داخل فم الجثة التي دخلت القبر صباح اليوم، تابعته بينما يحاول إغلاق فم الجثة المتصلب ثم يخرج من القبر بسرعة، قمت بتكاسل حتى أرى محتويات العمل أخرجته من الجثة وفتحته، ترجمة العمل باللغة العربية كان الآتي:

« مريم بنت سعدية، واحدة من جميلات منطقة الزاوية الحمراء، نريد أن يراها كل الرجال أقبح من القرود يجب ألا تتزوج أبدًا»

وفي آخر العمل كُتب الكود الخاص بالعمل وختم الساحر، مع العمل أرفقت شعره سوداء هي «قَطر» الفتاة مريم، ناديت على رفيقيّ في العمل باستخدام صيحتنا المميزة:

-شيكا هو شيكا راكا شيكا راكا هو[1].

ظهر من العدم وسط القبور دخان أسود بدأ يتكثف إلى أن خرج منه رفيقيّ في العمل، الأول «ضَلمان» كلب أسود ضخم من عالمنا، والثاني هو زميلي في العمل «زعتر» من الجن الأصفر، قال زعتر:

---

(١) الصيحات: عرفناها قبل كده ويأكد للمرة الثانية على أهميتها في عالم الجن، كل مجموعة أو شلة بتستخدمها علشان ينادوا على بعض.

-حد يجيب حد في ساعة زي دي.

رددت عليه:

-حد قال لحضرتك إنك شغال موظف في الشهر العقاري، إنت خادم أعمال، وأنا حارسة الأعمال واللي بستقبلها، ووقت ما أقولك يمين أو شمال تنفذ وإنت ساكت.

-ماأنا طول اليوم بلف أأكد على الشغل اللي فات.

عقب «ضلمان» قائلًا: هو هو.

قلت: أهو ضَلمان رد عليك أهو، والله هو العاقل اللي في التيم المنيل ده، بقولكم إيه إحنا عندنا طلعة في عمل لازم ننجزه في أسرع وقت، بت اسمها مريم بنت سعدية عايزنها تعنس شغلانة سهلة وبنعملها كل يوم.

عقب زعتر على كلامي: هما كده كده بيعنسوا من كترهم، هو البلد دي عاد فيها رجالة ده الحريم بقوا يمشوا كل حاجة حتى تنفيذ الأعمال.

ردت: وإنت محروق للرجالة ليه ياحبيبي حد داسلك على طرف؟

قال ضَلمان:هووووووو هو.

رددت عليه: معاك حق ده وقت شغل مش وقت نقصف قرون بعض، المهم أنا معايا شعرة تخص البت دي، عايزاك تشمها وتجبلنا قرارها.

قربت الشعرة من أنف ضَلمان فشمها عدة مرات قبل أن تنتصب أذنيه ويتقدمنا في المسير، تبعته أنا وزعتر لفترة طويلة إلى أن أوصلنا ضَلمان إلى مكان تواجد الفتاة، صعدنا إلى الشقة ودخلنا البيت ولن تواجهنا أي مشاكل مع عمار البيت، فلم أجد هناك سوى واحد فقط غير مُكترث أو مهتم، اتفقت معه على مبلغ صغير لو تركنا نعمل دون إزعاج فوافق دون اكتراث، ، تجولت أنا وفريقي في الشقة وجلسنا فيها طوال الليل، الشقة لأسرة من الطبقة المتوسطة لا يسكنها سوى الفتاة ووالديها وأخاها الصغير،

كانت الفتاة جميلة بحق، وهذا جعلني أدرك أن المهمة ستكون صعبة. في الصباح عرفنا أن الأسرة الصغيرة تستعد لاستقبال عريس «متريش» جاء من الإمارت يبحث عن عروس ووقع اختياره على ابنتهم.

أثناء حديث الأم مع ابنتها سمعتها تقول:

-العريس أول ما شافك عند هند بنت أم حازم وهو رايح يتقدملها عقله طار وصرف نظر عنها وجاي يتقدملك.

لم أحتج للكثير من الذكاء لأستنتج أن العمل الذي بحوذتي يخص الحاجة أم حازم.

بعد يوم من العمل على خطتنا أنا وزعتر لإفساد تلك الخطوبة أصبحنا نحن وأسرة الفتاة مستعدين لاستقبال العريس الذي سيأتي في اليوم التالي، كانت خطتنا هي أن نتجنب الفتاة وعريسها ونركز على قرنائهما!! فالقرين غالبًا شرير وليس بذكاء صاحبه ويسهل التأثير عليه.

*****

بينما تحكي قمر انتبهت لوجود قرين المهرج طرقع بين الجالسين فقالت له:

-لامؤخذة ياسطى.

وجدته يبتسم ببلاهة غير مبالًا بما تقول فعادت تتابع حكايتها.

*****

توليت أنا أمر قرينة مريم بينما تولى زعتر أمر قرين العريس.

كان لقاءًا عائليًا بسيطًا وسمجًا حيث تجتمع الأسرتين في صالون شقة العروس، بينما يختلس العريس النظرات للعروس التي تتظاهر بأنها خجولة. جلست بجوار قرين العروس، بينما جلس زعتر بجوار قرين العريس.

قلت لقرينة مريم:

-إزيك ياحبيبتي.

سألتني: إنتي تبع العريس؟

أجبت وأنا أبتسم: أيوة أنا خطيبة صاحب قرين العريس اللي قاعد جنبه(وأشرت لزعتر)

قالت بابتسامة بلهاء: أهلًا بكي.

سألتها: إنتي بتحبيه؟

قالت القرينة: أنا أول مرة أشوفه النهاردة بس هو شكله لطيف.

قلت بخبث: طب خدي بالك علشان بسمع عنه كلام مش تمام من خطيبي.

سألتني باهتمام: كلام إيه؟

في الجانب الآخر من الجلسة كان زعتر يجتذب أطراف الحديث مع قرين العريس:

قرين العريس لزعتر: أتشرف بيك؟

قال زعتر: أنا خطيب صاحبة قرينة العروسة، الجنية الزرقاء اللي قاعدة هناك دي(وأشار إليّ)

قال قرين العريس بابتسامة خفيفة: أهلًا وسهلًا.

سأله زعتر: إنت إيه اللي رماك الرامية السودا دي؟

تعجب قرين العريس وقال: أفندم؟!

تنهد زعتر وقال: بص إحنا شباب زي بعض وأنا ميهونش عليّ أشوف شاب وقرينه بيلبسوا اللبسة دي، فواجب عليّ أنبهك.

سأل العريس بفهم: بخصوص العروسة؟

نعود بالحكاية إلى جانبي، قالت قرينة العروسة غير مصدقة:

-بقى كده؟ الباشا بتاع بنات وضاحك على تلاتة قبل كده.

قلت ببراءة: تلاتة ده اللي نعرفه، الله وأعلم هما كام، أنا حبيت أنورك بس علشان قلبي ارتاحلك مش أكتر.

قال قرين العريس غير مُصدق: بقى قرينة العروسة مجنونة!

رد زعتر: بسببها العروسة دخلت المصحة تلت مرات، بس بيقولوا بقت كويسة

قال القرين: بقت إيه بس هو أنا هرتاح بعد اللي عرفته ده.

بدأ أثر انفعالات القرينين يظهر على الفتى والفتاة، بدآ يتوتران ويتعرقان.

قلت للقرينة: أنا لو منك أقوم أقلب طبق الفاكهة اللي محطوط على التربيزة ده وأسيبلهم القاعدة.

تملك الغضب منها بشكل كبير وحرضت صاحبتها العروس على أن تقوم بقلب طبق الفاكهة لتنهى تلك الجلسة، فجأة قامت مريم ودفعت طبق الفاكهة نحو العريس وأهله ثم جرت نحو غرفته وهي تصيح: مش عايزة أتجوااااز.

قال زعتر لقرين العريس: جالك كلامي؟

قام العريس في تلك اللحظة وسط نظرات الدهشة من الجميع وقال: يلا بينا نمشي من هنا.

رحل العريس وأهله وسط دهشة أهل مريم وحيرتهم من فعلة ابنتهم، بينما اختفيت أنا وزعتر من الشقة حتى لا نسير ريبة قرناء أهل مريم.

بعد ذلك اليوم أصبحت أزور مريم في أحلامها وأزرع في عقلها كره فكرة الارتباط، عدت أنا وفريقي إلى مقر عملنا في المقابر من جديد بعد أن اتفقت مع عامر البيت الوحيد الملول بأن يُبلغنا بأي عريس يقترب من البيت، وأعطيناه مبلغ لا بأس به فقبل عرضنا دون اكتراث واضح. وحين عُدنا إلى المقابر أعدت العمل إلى مكانه في فم الميت ووجدت في انتظاري

عمل جديد.

*****

سكتت قمر عند تلك النقطة ففهم الجميع أن قصتها قد انتهت، حل الهدوء على جميع الجالسين لثوان قبل أن يقول مهيطل:

-علشان كده أنا مش عايز أرتبط أنا خايف.

سأل عبده بخوف:

-هو الأعمال دي إزاي بتتفك؟

قالت قمر مجاوبة على سؤال عبده: في حلين، يابيلاقوها ويحرقوها فتقع من سجلتنا ويبطل العمل، يابتفضل ومحدش بيلاقيها وفي الحالة دي بتفضل في سجلتنا فعالة لحد ما صاحبها يموت أو ينتحر، مع العلم إن العمل مش مرتبط بيّا كحارس ليه، ممكن أمشي وييجي حد مكاني.

بعد أن أنهت كلامها قال عم علي:

-طب دي حكاية قمر، الدور على مين يحكي.. مممممم.. ما تحكيلنا حاجة كده يا عبد التواب.

قال عبد التواب متفاجئًا: أنا! مفتكرش إن عندي حاجة.

سكت للحظات يفكر قبل أن يتذكر:

-أه، افتكرت عندي قصة بس بعيدة خالص عن جو المقابر، وغريبة شوية.

شجع مهيطل صديقه قائلًا: احكي وهنسمعك متقلقش.

هكذا بدأ ابن أخي الموكوس في سرد الحكاية الخامسة من حكايات القبور، حكايته مع ولاد الفاجر

*****

-طريقة سرد الحكايات دي شبة حلقات الرعب اللي كان بيكتبها دكتور أحمد توفيق الله يرحمه في سلسلة ما وراء الطبيعة مع فرق الجودة طبعًا.

كانت تلك هي المرة الأولى التي أقاطع فيها أم شريف مُنذ بدأت حكايات القبور فردت:

-أنا ماليش دعوة يا خويا، أنا مجرد بحكي وإنت الكاتب، مش أزمتي إنك حرامي أفكار.

رددت بسرعة: حرامي إيه ياحاجة هتوديني في داهية، بقولك إيه الساعة 8 ونص وكده كده مش هتلحقي تحكيلي حاجة تانية، فأنا هخلع وأجيلك بكرة.

-متتأخرش طيب، لحسن بزهق من القعدة لوحدي.

قلت وأنا أحمل حقيبة ظهري استعدادًا للرحيل: طبعًا ياحاجة حد يتأخر ع القمر.

رغم كل ما تحمله من عيوب وسلاطة لسان إلا أنها محبة وطيبة القلب، لقد بدأت أعتاد على صوت هذه المرأة كجزء من حياتي، وهي أيضًا أضحت تسعد بوجودي الذي يقتل ملل حياتها، لكن لابد لكل شيء من نهاية، ونهاية ذلك الكتاب اقتربت.

حكايات القبور(5) :ولاد الفاجر

يحكيها: عبد التواب

خبطات متتالية على باب شقة أم شريف الموارب كالعادة وصوت ينادي:

-ياأم شيكووووو.

كانت أم شريف تعرف إنني صاحب الخبطات والصوت فطلبت مني أن أدخل:

-خش يا حموكشة كنت مستنياك.

دخلت وأنا أقول في مرح: متأخرتش عليكي أهو، لا وجايبلك معايا كمان ربع بن محوج من النوع اللي بتحبيه ومج هدية مكتوب عليه اسمك الحكاوتية أم شريف صديقة العالم الآخر.

رأيت فرحة طفولية على وجهها وهي تشكرني: تسلملي يا حبيبي مش عارفة أقولك إيه والله كتير عليا.

قلت لها: لا أنتي عارفة هتقولي إيه، هروح أعملك مج القهوة ونقعد نكمل حكايات القبور. بعد ربع ساعة كان مج القهوة في يدها وفنجاني في يدي، أنا على الأرض وهي فوق الأريكة والكلمات تدفق من لسانها.

*****

الحكاية التي سأحكيها الليلة لا يعرف عنها أي أحد شيء، ولن أحكيها قبلًا، فقط أبطالها هم الذين يعرفون بأمرها، لذلك انتبهوا. حصلت القصة حين كنت في الثالثة عشر من عمري، ذهبت أنا وعمتي أم شريف إلى منزل عمي الفاجر الله يرحمه.

*****

قاطع عم علي الحكاية قائلًا:

-يابني اذكروا محاسن موتاكم.

رد عبد التواب: ياحاج أنا مش بغلط فيه عمي كان اسمه الفاجر.

علق مهيطل: إيه ياعم! كافر وفاجر!! هو جدك كان من عبدة الشيطان ولا إيه؟!

ألقى عبد التواب نظرة جانبيه إلى مهيطل ثم تابع سرد حكايته.

*****

حين وصلنا إلى بيت عمي كان ولديّ عمي التوأم في استقبالي أنا وعمتي، وطلبا من عمتي أن يأخذاني للعب معهما، فوافقت عمتي وجلست هي بصحبة زوجة عمي.

كانا يكبرانني بأربع سنوات وهذا جعلني أرهبهما قليلًا وأشعر بالتوتر بصحبتهما، أدخلاني معهما إلى داخل غرفتهما وبالداخل..

*****

-اغتصبوك؟

قاطع مشمش عبد التواب ليسبق الأحداث فشعر عبد التواب بالحنق وقال: يارب أشوفك زي ماأنا عايز يا مشمش، ياجدعان بالله على أهليكوا سيبوني أحكي.

سكتوا جميعًا فتنهد عبد التواب وعاد يحكي.

*****

بالداخل وجدت سجادة حمراء تم تثبيت أربعة شمعات في زواياها الأربع وبداخلها رسمت نجمة خماسية بشيء أبيض يُشبه الدقيق، هذا أول ما جذب انتباهي، أما ثاني شيء جذب انتباهي داخل الغرفة هو جهاز كمبيوتر Dell

ضخم.

-إيه ده؟(سألت وأنا متسع العينين من الانبهار)

رد أولهم عبد العفو: ده سرنا الصغير.

بدا عليّ التأثر وأنا أقول بفرح: ده إيه الحلاوة دي، بسم الله ما شاء الله، إنتوا عندكم كمبيوتر!

قال لي الثاني عبد الغفور: ده اللي لفت انتباهك! بالنوسبة للشمع اللي على الأرض والنجمة مش واخد بالك إننا بنمارس السحر الأسود.

قلت لهم بعدم اكتراث وعيناي لا يفارقان جهاز الكمبيوتر: أسود بقى فُحلقي دي مشكلتكم المهم الكمبيوتر.. بقولكم إيه؟ عندكم زوما فراشة أو نيد فور سبيد.

*****

-سبيد وجبنة عاااااهاها.

قاطع الدكتور عماد حكاية عبد التواب بألشته السخيفة تلك فهب عبد التواب من مكانه وقال بغضب: طب وربنا ماأنا حاكي.

تدخل عم علي: هدي نفسك يابني إحنا بنهزر معاك.

- ياعم الحاج ما الناس كلها حكت ومحدش قاطعهم كل شوية كده، ماأنا لو شمس أو قمر مكنش اتعمل معايا كده.

أجلس مهيطل صديقه وهو يقول: ياعم هدي نفسك، كمل ومحدش هيقطعك تاني.

تنهد عبد التواب وسكت قليلًا ثم قال فجأة:

-عليّا الحرام اللي هيقطعني تاني لأكون قاتل نفسي وجايب لعم علي مصيبة.

طوح عم علي شيشته وهو يقول: وأنا مالي يالمبي!

زفر عبد التواب بقوة، ثم تابع الحكي.

*****

قال عبد العفو:

-طب إحنا هننزل نجيب حاجة وراجعين.

سألت ببراءة: طب هو ينفع ألعب على الكمبيوتر؟

رد عبد الغفور: لأ.

ضيقت عيني وقلت بخبث: خلاص، والله لأقول لمرات عمي إنكم دلقين دقيق على السجادة.. يا..

أسرع عبد الغفور يضع يده على فمي وهو يقول: خلاص اتنيل إلعب عليه عقبال ما نيجي، بتعرف تفتحه؟

قلت بثقة كأي طفل أحمق: ياريس أنا مفيش حاجة مبعرفش أعملها.

نظرا لي بشك قبل أن يقول عبد العفو: الجهاز لو خرب فيه حاجة هنشلحك وهنحط سلك الكهرباء عريان بين فخادك.

هززت رأسي بثبات ثم ابتلعت ريقي، خرج الاثنان وتركوني وحدي في الغرفة مع جهاز الكمبيوتر، كاد وجهي ينفجر من شدة الحماسة، اقتربت من الجهاز وكدت أضغط زر التشغيل وفي تلك اللحظة انقطع التيار الكهربائي! عم الظلام ولم يعد في مقدوري رؤية أي شيء، تسمرت في مكاني وكدت أنادي عمتي لولا أن سمعت صوت قطة معي داخل نفس الغرفة! لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، لقد شعرت بفرائها يلمس ساقاي! بدأ الرعب يتسلل حينها إلى كل خلية في جسدي، رفعت رأسي قليلًا حتى أتمكن من ابتلاع ريقي الذي توقف في حلقي فرأيت وسط الظلام طلاسم أو لغة غريبة لا أفهمها تتوهج بلون أحمر فوق جدران الغرفة، ويتوسط تلك الطلاسم عينٍ واحدة خضراء شُقت بالطول كأعين الشياطين والقطط تحدق فيّ مباشرة. وقعت

على الأرض من أثر الصدمة والرعب،وشعرت أن أطرافي قد شُلت، أنا غير قادر حتى على الصراخ وطلب المساعدة. فجأة ظهر وسط الظلام ضوء أبيض ساطع، كان هذا ضوء شاشة الكمبيوتر، نظرت نحوها في ذعر لأجد أن مؤشر الفأرة يتحرك من تلقاء نفسه، ثم تُفتح أمام عيناي صورة سوداء كُتب عليها الآتي بلون الدم ستموت علي يد طلمش، وفجأة اختفت الكلمة وانبثق من داخل شاشة الكمبيوتر وحش بشع الخلقة، أحمر اللون، تعلو رأسه قرون عملاقة كقرون الجدي، كان هذا كفيل بجعل الصرخات تنفجر من حلقي، أغمضت عيناي وانكمشت على الأرض أصرخ وأصرخ: لأ.. لأ.. مش عايز أموت.. مش عايز أموت.. عاااااا.

-مالك يابن الموكوس.

كانت صاحبة تلك الجملة هي عمتي أم شريف التي راحت تهزني بقوة حتى أكف عن الصراخ، هدأت أخيرًا وكففت عن الصراخ وانهمكت ألهث كالكلاب، حتى تمكنت من التماسك وشرعت أقلب نظري بين المحتشدين حولي، كانت عمتي جاثية بجواري وبجوارها تقف زوجة عمي خلفها أولاد عمي الاثنين عبد العفو وعبد الغفور.

حدقت بالأخيرين وقلت بفزع وأنا أشير نحوهما:

-بيعملوا سحر، بيعملوا سحر ياعمتي، شفتي النجمة والشموع أهي، والعين وو ال العفريت طلعلي وقلي هموتك.

عمتي تحدق فيّ غير فاهمة بينما أنا على وشك أن أنفجر في البكاء، هنا تدخلت زوجة عمي بالقول:

-هما عملوها فيك؟

نظرت لها أنا وعمتي بعدم فهم، فوجدناها تشد ولديها من أذنيهما وهي تقول:

-البهوات غاوين مقالب، وطوب الأرض بيشتكي منهم مرة أقنعوني إن الشقة

مسكونة وإنهم اتلبسوا علشان يحتلفوا بعيد ميلادهم، معلش يا حبيبي حقك عليّ أنا متلعبش معاهم تاني.

سكت وأصرت عمتي أن نعود إلى البيت معربة عن تضايقها مما حصل، بينما ألجمت الدهشة لساني حتى عدنا إلى البيت، ومُنذ ذلك اليوم وأنا أكره أجهزة الكمبيوتر ولا أتعامل معها إلا في أضيق الحدود.

*****

-يا ولاد الإيه!

خرجت من مهيطل بشكل تلقائي بعد أن أنهى عبد التواب حكايته فعقب عبد التواب قائلًا:

-الفاجر.

سأل د. عماد: أنا برضو مش فاهم، كل دي كانت تهيؤات يعني؟

ردّ عبد التواب: لأ، مش كدة أنا عرفت تفاصيل المقلب بعدين لما كبرنا وروحت افتتاح بيت الرعب اللي هما عملينه، قعدوا يحكولي ويذلوني بمنظري يوميها؛ يعني مثلًا القطة ده مجرد صوت كانوا مشغلينه من ورا الباب والفرو اللي كنت حاسه بيلمسني ده دباديب هما معلقنها في الحيطة نزلت بمجرد ما سحبوا الخيط اللي رابطها من وراء الباب، الطلاسم والعين على الحيطة مرسومين بمادة شفافة أو خفية بتنور بلون فسفوري واضح في الضلمة، وبتدعم بلمبات معينة كانوا مركبنها في الحيطة وولعوها وسط خوفي ومخدتش بالي، غير إنهم كانوا بيتحكموا في الكمبيوتر ببرنامج من خلال جهاز تاني من بعيد، وهما اللي عملوا موضوع الكتابة والصور والحركات دي ببرامج الجرافيك.

قال مهيطل: العيال دي دمااغ.

علا صوت كركرة شيشة عم علي قبل أن يقول:

-مين لسه محكاش؟

توجهت الأنظار جميعها فجأة نحو مهيطل الذي تعرق وقال:

-يا جدعان ما بلاش أنا معنديش قصص حلوة.

قال مشمش: إزاي يا صاحبي إنت قعدت تلت سنين شغال مع ساحر، أكيد شفت اللي ميتشفش.

قال عم علي: ثم إن مفيش غيرك فاضل، مالولومبا مبيعرفش يحكي بالعربي وقرين طرقع تقريبًا ميعرفش غير كلمة واحدة.

عقب طرقع: تنفخ؟

أدرك مهيطل أنه لا مفر من أن يحكي، فبدأ في عصر عقله باحثًا عن قصة مناسبة ثم..

-تمام افتكرت حكاية، بس متردد يا جدعان.

قال عم علي: يابني ليه متردد احكي وإحنا هنقبل منك أي حاجة.

زفر مهيطل وقال: بس الحكاية دي مش لازم تطلع بره الدايرة اللي إحنا قاعدين فيها، كلكم تسمعوا عن الجن العاشق لكن محدش يعرف قد إيه المهمة دي صعبة.

وبدأت حكاية القبور السادسة والأخيرة.

حكايات القبور(6) :لعنة الحبة الزرقاء

يحكيها: مهيطل شلوفة النتن

عملت لدى الساحر منصور السحار لمدة ثلاث سنوات متتالية، أن تعمل مع ساحر يعني أن تُلوث يديك بدماء المُنتحرين، وأن تكون سببًا في خراب البيوت، ونادرًا ما تكون سببًا في عمارها.

على مدار تلك السنين لم أكلف بالكثيرمن المهام، فقط أكلف أنا وزملائي من الجن الأصفر بالبسيط منها لضعف إمكانياتنا، لكن هذا لا يمنع من أنها جميعًا كانت مهام قذرة ومؤذية، لكن المهمة التي سأحكي لكم عنها الآن هي أكثر تلك المهام قذارة وأكثر المهام التي آذتني شخصيًا حتى أنني اكتئبت بعدها لفترة.

في يوم من الأيام استدعاني منصور لأحضر أمامه في أسرع وقت، وبالفعل خلال دقائق كُنت أقف أمامه داخل المقر وبحوذتي ورقة وقلم، سألته:

-ها.. عايز سندوتشات سوري ولا كشري؟

تعجب قائلًا: كشري!

استدركت: آه أنا جبتلك كشري إمبارح، طب عايز السوري لحمة ولا فراخ؟

-إنت بتقول إيه يابني؟

-إيه.. شبعان أجبلك شاي؟

قال بحنق: يابني إنت هو أنا حضرت جن ولا أبلكيشن أطلب!

-يا فتاح ياعليم يارزاق يا كريم، مهو أكيد عايز أكل هو أنت بتطلبني علشان حاجة غير كده؟

زفر منصور وقال: لا ياسيدي عايزك في شغل.

رميت الورقة والقلم بينما أقول: تولع السندوتشات، قول يا معلم لقد هرمنا.

أسند يده على يد الأريكة ووضع قدم فوق أخرى وشرع يشرح:

-من يومين جات ليا واحدة كده اسمها أم كلالة طلبت مني أسلطلها جن عاشق على واحدة جارتهم اسمها جمالات، جمالات دي متجوزة واحد اسمه أبو حجر، خلاصة الكلام الولية أم كلالة دي عايزة تزيح جمالات من سكتها علشان بترسم على أبو حجر وهو منفضلها ومركز مع مرأته.

فكرت للحظات ثم سألت أول سؤال بديهي خطر في بالي: أيوة ليه بقى عايزني أنا بالذات أعمل الحوار ده.

رد بصراحة: علشان لامؤخذة أم كلالة دي فلوسها قليلة، وأنا مش هسحل الرجالة في شغلانة زي دي، في حاجات أهم، فقلت أي واحد من الصُفر يعملها.

وجهت له السؤال البديهي الثاني: طب إشمعنا أنا دونًا عن باقي الصُفر، مع إنك عارف إني في حوار اللبس ده مش قد كده.

-لأ ماأنا بعت عِفرت صاحبك قبليك إمبارح، بس رجع لي النهاردة ساكت مبيتكلمش ومصدوم في نفسه.

-ربنا يطمنك، طب إديني العنوان وأي معلومات عندك وأنا هتصرف.

-مش إنت جني ما تعرف لوحدك.

-ياريس ماأنت عارف اللي فيها.(قلتها له مبتسمًا فابتسم هو الآخر ومد يده نحوي بورقة تحوي العنوان)

خلال أقل من ربع ساعة من استلامي للعنوان، كنت قد وصلت إلى شقة الست جمالات ودخلتها، وكالعادة قمت بضبط أمورعملي مع عمار البيت ولم يعترضوا وعلى الأخص حين عرفوا أنني من طرف منصور.

كانت جمالات وحدها حين وصلت إلى المنزل، ولم يكن لزوجها أي آثر، دعوني أصف لكم جمالات آدمية مصرية بكل ما تعنية الكلمة، كتل من

الدهون والترهلات تتجمع فوق هيكل عظمي مسكين، تقف متعرقة تعد المحاشي لزوجها الموشك على القدوم، قررت أن أخذ خطوة جادة وأقوم بلبسها دون أي مُقدمات، اقتربت منها بينما تقوم بعملية «تقوير» الكوسة لحشيها، وقمت بسرعة بدمج شحنات جسدي الكهربائية بشحنات جسدها لتصبح خلاياها العصبية وجسدها تحت سيطرتي، وبعد خمس دقائق من المحاولة نجحت عملية الدمج، وأصبحت أجري في جسدها مجرى الدم[1].

لم أجرب الأمر سوى مرة أو مرتين من قبل ولم تكن العملية ناجحة بشكل كامل حينها، لكن يمكنني أن أقول أن عملية اللبس تلك ناجحة بنسبة 99%، إنها صاحبة عقل كسول وإرادة معدومة سهلت المهمة بشكل كبير، المشاعر التي شعرت بها حينها غريبة ومرعبة، وكأن جسدها هو جسدي أشعر بأغلب ما تشعر به، الأمر لم يكن مريح بالمرة، لا يمكن لأي كائن خلقه الله أن يشعر بالراحة وكتلتا الدهون هاتان تجثمان فوق صدره، لا أفهم حتى كيف تتحرك بتلك الأفخاذ الشبيهة بالأعمدة الرومانية.

بدأت أتجول في البيت محاولًا التأقلم مع هذا الوضع الغريب المرهق، لكن سرعان ما استلقيت بجسد جمالات على سريرغرفة النوم من شدة الإرهاق، هذ الجسد لم يُصمم للحركة. فجأة بينما أنا أستريح تناهى إلى مسامعي صوت باب الشقة يُفتح في الخارج ثم يُغلق، فاستنتجت أنه زوجها أبو حجر، فجأة فُتح باب غرفة النوم ودخل عليّ كان عريض المنكبين رغم أن طوله لا يتجاوز ال160 سم، أسمر البشرة ويتميز بشارب طويل يكاد يلمس أذنيه، لم يحلقه على مدار حياته تقريبًا، نظر إليّ أو إلى جمالات نظرة مليئة بالوعيد، قبل أن يُخرج من جيب بنطاله عُلبه ذهبية اللون، ثم ابتلع من محتويات هذه العلبة حبتان زرقاوان، وأغلق باب الغرفة.

*****

(١) الجن جسدهم أقرب في تكوينه إلى الطاقة الكهربائية، وده بيسهل عليهم يتوحدوا مع طاقة الجسم البشري الكهربائية ويتحكموا فيه وفي خلاياه العصبية.
#معلومات_من_الأخر_عن_العالم_الأخر مع الحاجة أم شريف

توقف مهيطل عن الحكي فجأة وسكت قليلًا فسأله عبده:

-إيه ياسطى سكت ليه؟

رد مهيطل: ياسطى اللي حصل ما يتحكيش، دي أكتر ذكرى مؤلمة في حياتي.

سأل مشمش مستفسرًا: أيوة إيه اللي حصل يعني؟

-واحد دخل الأوضة على مراتة بليل تفتكر إيه؟(رد مهيطل على سؤال مشمش بسؤال ساخر)

-طب هو إنت إيه اللي ضرك! هو إنت لابسها بالمعكوس؟!(قال مشمش ساخرًا)

تدخل عم علي بلهجاء جدية: نبطل غباء يا جدعان وندِيله فرصة يكمل(ثم تغيرت طريقته فجأة وابتسم ووجه حديثه لمهيطل): كمل يامهيطل يابني لحسن الواد دكتورعماد مش قاعد على بعضه تفاصيل بقى.

ضاقت عيني مهيطل وهو ينظر إلى عم علي المبتسم، وحاول أن يقاوم رغبة في ضربه، قبل أن يتنهد ويُتابع.

*****

بعد تلك الليل البشعة وبعد أن فهمت سبب اكتئاب عفرت، قررت أن أخرج من جسد تلك المرأة، وهنا كانت الصدمة الثانية، لا أعَرف كيف أفعل ذلك! لم أتلبس جسد إنسي من قبل ولا أعرف كيف أخرج منه، على مدار اليوم فشلت كل محاولاتي في الخروج، وفي الليل وجدت نفسي مضطرًا إلى مواجهة أبو حجر وحباته الزرقاء للمرة الثانية، ولم تختلف تلك الليلة في بشاعتها عن الليلة التي سبقتها.

في الصباح أدركت أن الحل الوحيد لتلك الأزمة أن أستعين بساحر قادرعلى التلاعب بطاقة جسدها لتسهيل عملية خروجي، ولا أعرف ساحر قادر على فعل ذلك سوى منصور نفسه، لذلك انتظرت حتى خرج أبو حجر وارتديت عباءة الست جمالات السوداء وذهبت إلى مقر عملي، بيت منصور أو كما

نسميه وكر الجن.

عانيت كثيرًا مع هذا الجسد الثقيل المُتفخذ الملتصقة أطرافه حتى تمكنت من الوصول إلى وكر الجن، وقابلت الست أم العواجز التي تعاملت معي وكأنني مجرد زبون أو- في تلك الحالة -زبونة عادية، ودخلت كأي زبون إلى منصور الذي شهق بمجرد أن دخلت كأي ساحر يبالغ في اصطناع قوته الروحية، قررت أن أتكلم معه بطريقة عادية وأنتظر ردت فعله، هل سيتعرفني أم لا.

-إزيك يا شيخنا.

رد منصور وهو مُغمض العينين: إزيك يابنتي، إيه اللي أنا حاسة ده، ده اللي عليكي تقيل.

ردت: والله هي تقيلة لوحدها أنا مليش ذنب.

-إيه!

-ولا حاجة يا شخنا مخضوضة بس.

أشار لي نحو كرسي أمامه لأجلس فجلست، قبل أن يقول:

-إنتي لابسك جن.

-قول والنعمة!(رددت عليه ساخرًا فتابع)

-ومش جن عادي، ده من أحقر أنواع الجن.

-حبيبي تسلم ربنا يخليك.(كان هذا ردي فنظر لي في تعجب ثم أشاح بنظره عني وتابع)

-بس ده خروجه صعب لأنه واحد من ملوك الجن الأحمر.

«يابن الكدابة» دارت تلك الجملة في عقلي وقتها بينما أستمع إليه وهو يستطرد:

- 5 ألاف جنية مُقدم لو مستعدة دلوقتي بالمطلوب ممكن نبدأ في جلسة العلاج دلوقتي.

-لا ياعم 5 ألاف إيه هي مش فارق معاها حاجة ده أنا حتى راحمها من أبو حجر أنا اللي عايز أخرج.

قال متعجبًا: إنت مين؟!

-ياعم أنا مهيطل ياعم اللي لابس الست دي، وأنا اللي افتكرتك هتحس بيّا، الاهتمام مبيطلبش.

قال في عصبية: بتعمل إيه جوه يازفت؟

-ياعم بتزعق لي ليه، دي جمالات اللي إنت بعتني ليها، ياريس أنا اتحشرت فيها ومش عارف أخرج.

-الله يخربيوتكم يابهايم، طب استنى هحاول أخرجك.

-ياريت بسرعة علشان لو اتاخرت وأنا لسه جوه جسمها أبو حجر جوزها هيفشخني حرفيًا.

بدأ منصور في خطوات عملية إخراجي فأشعل بعض البخور لتهيئة الجو النفسي، وبدأ من بعض الكلمات والرموز بالتأثير على طاقة جسدها حتى يتمكن من إخراجها وقد كان، بالفعل انتهت عملية الطرد في أقل من نصف ساعة وساعد على ذلك استسلامها وضعف طاقتها، لنجد أننا أمام مشكلة أخرى، فلقد أفاقت المرأة لتجد نفسها داخل وكر الجن وحدها مع منصور، فصرخت وجرت بخطواتها الثقيلة نحو الباب، نادى منصور على «طلهان» خادمه من الجن الأحمر ليتلبس جسدها وينقلها إلى بيتها ويتم المهم، وبالفعل تمكن طلهان منها في أقل من 10 ثوان، فسكتت السيدة وقبل أن يخرج طلهان ناديته قائلًا:

-خد بالك من أبو حجر وحبوبه الزرقاء.

*****

-بعد الحادثة دي فضلت مكتئب شوية ومنصور خلاني أأجز من الشغل كام يوم علشان معملهوش مصايب، ولما رجعت الشغل عرفت إن طلهان حرق نفسه بعد ما لبس الست جمالات، تقريبًا نفسيته مستحملتش اللي حصله.

أنهى مهيطل قصته ليجد أن المجلس قد ابتعدوا عنه قليلًا بينما ينظرون له في اشمئزاز، فسأل:

-مالكم يا جدعان!

رد عبد التواب: ياريت أقدرأنسى اللي أنا سمعته ده وأعرف أتعامل معاك طبيعي تاني، بقولكم يا جماعة حد عنده قصة تانية؟

فرد دكتور عماد:

-هو في كلام يتقال بعد اللي صاحبك قاله ده.

-معاك حق وأمانة الله.

أزاح عم علي الشيشة جانبًا وقال مازحًا:

-أنا شايف يا جماعة إنكم تروحوا قبل ما الفجر يأذن علينا، أحسن تتحرقوا ولا حاجة.

فاقترح مشمش: طب قبل ما نروح ياريت نتصور صورة جماعية ونحطها كافر فيس بوك.

سألت شمس: في حد معاه موبيل فيه كاميرا أمامية؟

لم يرد أي أحد، لكن أحس عبد التواب بحركة غريبة بين الجمع، وظهر من العدم فجأة هاتف نقال من نوع خاص كُتب عليه بالإنجليزية كلمة (قرين)، وارتفع الهاتف إلى أعلى، سمع عبده بعدها صوت أعجمي الطابع يقول:

-أنا معايا.

فقال مهيطل: خلاص يا جماعة مالولومبا معاه.

أدرك عبد التواب حينها ماهية الشيء الذي أحس به، بدأ المجلس في التجمع حول بعضهم البعض لالتقاط الصورة السلفي، احتضن عم على الشيشة، بينما احتضنت شمس قمر وراحا ينظران إلى كاميرا الهاتف نظرات عابثة، بينما ناول شبح المهرج بالونة للدكتورعماد ووقفا كتف بكتف كصديقين قديمين، وبينما ينظرعبد التواب إلى الجميع سحبه مهيطل إلى داخل الصورة والتصقوا ببعضهم البعض، بينما مشمش خلفهما يرفع إصبعين خلف رأس كلًا منهما وكأنها قرون، ويحتل ثلث الكادرسواد تتوسطه عينين ساهر البيضاوين.

قال مشمش: كله يعمل بوز البطة.

-مبعرفش.

كانت تلك من عبده فتدخل مالولومبا قائلًا: بسيطة قولوا معايا واحد.. اتنين.. تلاتة.. قُبُووور.

-قُبُوووووووووووووور..

صوت جماعي يلحقه صوت التقاط الصورة والفلاش الليلي لتنتهي عند تلك النقطة حكايات القبور.

*****

وداع مؤقت

سكتت أم شريف أخيرًا عن الكلام المباح، فأدركت أن الحكاية قد انتهت، ابتسمت قائلًا:

-بس كده، الحكاية هتقف عند النقطة دي.

نظرت لي في تعجب وقالت: بس ده لسه يابني الحكاية في أولها، ده لسه في ألف حكاية وحكاية، لسه محكتلكش عن أرض المستنسخين ولا عن الندابة ولا عن رحلتنا لعالم الجن وحكاية نهاية العالم ولا حرب الجن، ده لسه حتى سرالتوكتوك منكشفش.

قلت بثقة وأنا أقوم عن الأرض: عارف والله كل الكلام ده يا حاجة، متنسيش إني الكاتب وإنك بتحكي الأفكار اللي في دماغي أساسًا، بس الحكاية لازم تقف عن الحد ده.

سألتني والحيرة بادية على وجهها: ليه يعني؟

تنهدت وأنا أجيب بصراحة: علشان سعر الورق بيزيد كل يوم ودار النشر مش هترضى تنشرلي الكتاب ده لو حجمه زاد عن كده، حتى لو كملت الحكاية ودار النشر رضيت بالكتاب هيبقى سعره 100 جنية ومحدش هيرضى يشتريه وهيروحوا يجيبوه مضروب من سور الأزبكية علشان القارئ في مصر غلبان مش لاقي ياكل، فخليني في الأمان كفاية إني لقيت دار نشر مجنونة ترضى تنشرلي الكلام ده.

هزت رأسها قائلة: معاك حق، بس عارف، هتوحشني قعدتك يا واد يا مدوّناتي إنت.

ابتسمت قائلًا: حموكشة بقى مدوّناتي إيه، وإنتي كمان ياأم شريف هتوحشيني أكتر من أي شخصية كتبت عنها في الدنيا، بس أوعدك هرجعلك

في أقرب وقت ممكن بعد ما أخلص روايتي الجاية.

أدخلت فنجان القهوة الخاص بي والمج الخاص بها إلى المطبخ ثم ارتديت حقيبة ظهري وهممت بالرحيل، لكني تذكرت شيئًا فتوقفت وقلت لها:

-معلش ياأم شريف عندي طلب أخير محتاج مشهد تشويقي كده نقفل بيه الكتاب.

اتسعت ابتسامتها حتى أصبحت من الأذن للأذن وقالت:

-من عينيّا، مشهدين كمان علشان خاطرك.

يُتبع.. الليالي الألف لم ينتهوا بعد

المشهد التشويقي الأولاني

مرّ شهر على حكايات القبور، تعود عبد التواب خلال هذا الشهر على مرافقة مهيطل والعمل معه، وتخللت أيام عملهم بعض الحكايات الصغيرة وبعض «جوينات» الحشيش، وبعد إبحد مغامراتهما القصيرة أوقف عبد التواب التوكتوك أسفل البيت وصعد هو ومهيطل إلى الشقة ليرتاحا قليلاً، واستغل مهيطل فرصة عدم وجودي وتجسد بشكل مرئي ومادي.

في تلك الأثناء كُنت أنا -أم شريف- عائدة من السوق وبحوزتي بعض الأكياس البلاستيكية السوداء، فوجدت الباب مواربًا !

توقعت أن عبد التواب ابن أخي المهمل هو من فعل ذلك فدلفت بهدوء دون أن أحدث أي ضجيج، تناهى إلى سمعي صوت شخصين يضحكان داخل غرفة عبد التواب!

ما دار في بالي حينها هو:»الواد مستغل عدم وجودي وجايب نسوان!»

لكن الأمر كان أخطر مما تخيلت، وأدركت كم كُنت متفائلة حين اقتحمت الغرفة لأصطدم بمشهد لم يكن ليخطرعلى بالي، كائن أصفر اللون غريب الخلقة بآذان كأذان الكلاب ويعلو رأسه كاب مع جاكت جلد أسود حول جسده.

-يالهوي.. إيه ده؟(صرخت في وجههما)

صعقت المفاجأة الاثنين واتسعت عيني عبد التواب الممدد فوق السرير على بطنه بينما أدرك مهيطل أنهما في ورطة.

-دادادادادادادادادادا.

كان هذا الصوت المتقطع هو كل ما صدر عن عبد التواب المصدوم حينها فقرر مهيطل أن يتصرف بسرعة: دادا إيه ياعم الرشاش أنا هتصرف(تأهب

جسد مهيطل وهو ينظر لي وتابع) بصي يا حاجة أنا آسف على اللي هعمله ده، بس أنا مضطر ألبسك وأنسيكي الـ

لم أمهل مهيطل الكثير من الوقت ليكمل حديثه، فلقد شعر بتنميل مفاجئ في جسده وأحس بشلل في أطرافه أجبره على السقوط أرضًا، نظر إلى الأعلى فوجدني أنظر إليه متوعدة وفي يدي الصاعق الكهربائي الذي أحمله للضرورة، وقبل أن يدرك كم كان غبيًا حين تجسد وجعل نفسه عرضه لشيء كهذا، كنت قد وجهت صعقتي الثانية إلى وجهه مباشرة.

(يوجد مشهد بعد صفحة الشكر)

شكر خاص جدًا خالص

-إلى راديو وموقع زووووم نيوز وصاحبه أحمد حسام التلمساني والصحفي إسلام عبد الخالق؛ لولا ذلك اليوم الذي عرض عليكم فيه الفكرة وشجعتماني على كتابتها للموقع ما كُنت لأقدم على كتابتها.

-إلى دار إبداع وصاحبها عيد إبراهيم عبدالله.. شكرًا لأنك تحمست للفكرة وقبلت نشرها.

-إلى أبطال الحكاية الذين استوحيت منهم شخصيات الرواية.

-إلى أم شريف التي أصدق في وجودها حتى لو كانت مجرد شخصية داخل عقلي.

إلى الفنان محمد خليل (خلو) الذي ساهم بالرسوم الداخلية.

-وإلى كل من تحمل كواليس كتابة هذا العمل وأفادني باقترحاته.

أمي وإخوتي.. سمر سعيد.. الكاتبة وسام عبد الوهاب.. الكاتب أحمد الزيني.. الكاتب محمد عصمت.. الكاتب محمود علام.. سلسبيل.. نوران طارق.. الكاتبة سارة البطحيشي.. فاطيما النجار (أهم حد في دار إبداع).. والبشمهندس شريف السيد.. ولفريقي الصغير (المخوفاتية) إخواتي الكتاب.

أخيرًا وليس آخرًا إلى كل من انتظر هذا العمل بشغف أتمنى أن تكون قد استمتعت.

المشهد التشويقى الثاني

وقف منصور السحار وسط وكر الجن وأمامه وقف جنيان ضخمان من الجن الأحمر يقيدان حركة جني ضئيل الجسد أصفر اللون.

قال منصور بهدوء وثبات موجهًا حديثة للجني الأصفر:

-ها يا عِفرت يا حبيبي، مش ناوي تقلي مهيطل هرب بالحاجة فين؟

رفع عِفرت رأسه والدخان يخرج من كل جزء فيه وقال بصوت ضعيف:

-التوكتوك.. الحاجة في التوكتوك.. ده كل اللي أعرفه.. أكتر من كده معرفش صدقني.

ضغط منصور على أسنانه قائلًا: ده آخر ما عندك؟

لم يرد عِفرت ربما لأنه لم يعد في مقدوره الرد فاستطرد منصور: أعتقد كده بقى عندنا معلومات جديدة نقدر نبدأ من عندها.

ثم استدار منصور وهو يشير للجنيين الأخرين بهدوء قائلًا:

-احرقوه.

(يوجد مشهد أخر بعد صفحة التعريف بالكاتب)

أحمد مسعد (المدون)

مواليد القاهرة 1997م، طالب بكلية الفنون الجميلة جامعة حلوان الفرقة الثالثة بقسم الجرافيك، شعبة الرسوم المتحركة وفن الكتاب.

كاتب قصصي وروائي اشتهر بكتابة قصص الرعب الإذاعية في العديد من البرامج أشهرها برنامج كلام معلمين.. رصيده من القصص الإذاعية 21 قصة بالإضافة إلى ملفات التجارب الحقيقية أهمها (ثلاثية بلا عودة، الراصد، العهد القديم)

صدرت روايته المشتركة الأولى مع الكاتب سامي ميشيل (خطايا آدم) في معرض القاهرة للكتاب 2018.. ثم لحقتها روايته الثانية وعمله المنفرد الأول (خلف ستار الموت) في صيف 2018.. وحقق العملان نجاحًا ملحوظًا.

صدرت له رواية الناسخ(الإنترنت المظلم) معرض الكتاب 2019 ولاقت استحسان كبير.

أسس فريق (المخوفاتية) عام 2017 مع الكاتب سامي ميشيل، وقام فريقه بعمل وتنظيم العديد من الإيفينتات المرعبة في القاهرة والعديد من محافظات مصر وجامعاتها.. بالإضافة إلى كُتب المخوفاتية المجمعة للكتاب الشباب

للتواصل مع الكاتب:

https://www.facebook.com/a7mad.moss3d

إذا أعجبك العمل ادعم العمل والكاتب برأيك على صفحة الرواية على جودريدز أو أنشر رأيك على هاشتاج #توكتوك_من_الجحيم

عليك واحد :")

توك توك من الجحيم

(مش أول رواية رعب ساخر في مصر)

إذا جئت تبحث عن كتاب أدبي.. فاهرب حالًا؛
فهذا الكتاب ليس لك

إذا كنت تخاف التجارب الجديدة.. فاهرب حالًا؛
فهذا الكتاب ليس لك

إذا كُنت تبحث عن أدب نظيف.. فاهرب حالًا؛
فهذا الكتاب ليس لك

إذا كُنت من محبي كتاباتي.. فاهرب حالًا؛
فهذا الكتاب مختلف عن كل ما أعجبك قبلًا.

أما إذا كنت تبحث عما يشغل وقتك، وتبحث عن بعض المرح والاستمتاع..
فالكتاب ده دماغك يا باشا..
وإن شاء الله هتنبسط معانا.

غلاف: إسلام مجاهد

9 789777 792578
إبداع